مملكة مروي.. التاريخ والحضارة

بروفيسور: عمر حاج الزاكي

بسم الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

صدق الله العظيم

مملكة مروي.. التاريخ والحضارة

※ **إعداد** : بروفيسور/عمر حاج الزاكي

※ **تقديم**: بروفيسور/ علي عثمان محمد صالح

※ **الناشر** : وحدة تنفيذ السدود

※ **الإخراج الفني**: نشأت الإمام

※ **التنضيد**: أنس حسن

※ **الطبعة الأولى** : ٢٠٠٦م

※ **الطباعة**: مطابع الصالحاني

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن آراء يتبناها الناشر

ترسل جميع المكاتبات باسم السيد / رئيس هيئة التحرير

على العنوان التالي :

السيد / مدير الإدارة العامة للمعلومات والتدريب والإعلام

وحدة تنفيذ السدود – رئاسة الجمهورية

السودان – الخرطوم – الرياض – شارع عبد الله الطيب

ص . ب : ١٢٨٤٣ هاتف : ٨٣٢٣٦٩٠١ فاكس : ٢٤١٢٠١

البريد الإلكتروني : info@merowedam.gov.sd



سلسلة إصدارات

وحدة تنفيذ السدود

إصدارة رقم (٧)

تصدر عن وحدة تنفيذ السدود

رئاسة الجمهورية - جمهورية السودان

مملكة مروي.. التاريخ والحضارة

رئيس مجلس الادارة:

أسامة عبد الله محمد الحسن

المشرف العام

محمد الحسن الحضري

رئيس هيئة التحرير:

ضياء الدين محمد عبد القادر

رئيس التحرير:

عمر محمد عبد الرحيم باسان

مدير التحرير:

خالد عثمان محمود

سكرتير التحرير:

محمد عثمان مصطفى

المستشارون

اللجنة العلمية لتوثيق تاريخ المنطقة

المتأثرة بقيام سد مروي

بروفيسور: يوسف فضل حسن

بروفيسور: عون الشريف قاسم

بروفيسور: حسن مكي محمد أحمد

بروفيسور: عبد الرحيم علي

بروفيسور: سيد حامد حريز

بروفيسور: علي عثمان محمد صالح

بروفيسور: أحمد عبد العال

د. جعفر ميرغني

د. علي صالح كرار

د. طارق أحمد عثمان

أ. حسن حسين



سلسلة إصدارات

وحدة تنفيذ السدود

مملكة مروي.. التاريخ والحضارة

بروفيسور: عمر حاج الزاكي



تصدر عن: وحدة تنفيذ السدود

الخرطوم – رئاسة الجمهورية – السودان

فهرسة المكتبة الوطنية – السودان

٤٠١ ٩٦٢ جمهورية السودان .رئاسة الجمهورية . وحدة تنفيذ السدود

مملكة مروي : التاريخ والحضارة / جمهورية السودان . رئاسة الجمهورية .

وحدة تنفيذ السدود . –ط١– دمشق : مطبعة الصلحاني . ٢٠٠٥م

١٦٠ ص : ١٧X٢٤

ردمك : ٥–٨–٨١٥–٩٩٩٤٢ ISBN

١ . السودان–تاريخ–مملكة مروي

تصدير

الحمد للّه مصرف الأيام والليالي ومعرف العباد كثيراً مما سلف في الأزمان الماضية والدهور الخوالي ومشرف هذه الأمة في سائر الأشهر والأعوام بالضبط التام المتوالي ومعلم من شاء من العلم العقلي والنقلي ما هو أنفس من الجواهر واللآلي ومفهم الألبَّاء في التعريف بالإنسان والزمان الطويق المسند المدرج في العوالي بالعبارة الرائقة والإشارة الفائقة. والصلاة والسلام على أشرف الخلق المنزل عليه «وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك»..

أما بعد،

فمروي «التاريخ والحضارة» مملكة لا تخطئها العيون إلاّ من عمى ولا الآذان إلاّ من صمم ولا القلوب إلاّ من سقم فهي ملء السمع والبصر والفؤاد. وعندما يتحدث التاريخ عنها وحضارتها لا يسع الحاضر بكل دهشته إلا أن ينيخ مطاياه ويحط رحله ويصغي لأعذب أنشودة رددها فم الزمان ويقرأ سِفراً خطه يراعها بأسطر من نور على صفحات من ذهب عظمة الملوك وفطنة الأمراء وحكمة ذوي البصائر وعبقرية الشعوب صادرها وواردها، طريفها وتالدها دررٌ مكنونة وجواهر مخزونة.

واليوم يستدير الزمان وتبزغ الشمس من جديد وتشرق الأرض بنور ربها وتنهض العزائم ويفيض الخير وتعود مروي سيرتها الأولى.

وهذا الكتاب الذي بين يديك يحكي قصة شعب أراد الحياة فاستجاب له القدر، وقصة جيل سار في مقدمة الركب الإنساني لقرون خلت يوم رضى الآخرون بمؤخرة الركب البشري يحكي عن حضارة تتصدر موكبها الفنون وتتوسط عقدها التراتيب الإدارية لشأن الحياة سياسةً واقتصاداً واجتماعاً ويحرس ظهرها الدين والعرف وحسن الرياسة والكياسة.

ولأننا نؤمن بأن كل خط ليس في القرطاس ضاع وكلَّ شئ جاوز الإثنين شاع أردنا أنْ نثبت وأن نوثق وأن نشيع المعرفة بين النّاس، ويكفي أنّها مروي وما أدراك ما مروي.

الناشر



تقديم

هـذا كتاب قيم، بـذل فيه المؤلف جهداً مضنياً لإنشـاء حبكة تـاريخية ومعـرفية متـماسكة، ومتـسلسلة، في إتساق تام لما تحدثنا به الدلائل والوثائقية، والأثرية المتاحة حتى الآن عن تاريخ وحضارة مملكة مروي القديمة.

وقد أحسن المؤلف كثيـراً بأن جعل الكتاب في جزئين رئـيسيين، أولهـما عن تاريـخ المملكة النشأة والأزدهار والاضمحلال ، الثاني ، عن ال حضارة، كما تجلت في أوجهها المختلفة فقد مكنه ذلك من فصل ما هو تاريخي عن ما هو حضاري. فالأول يحتمل المغـالطات التاريخية واختلافات وجهات النظر بين الدارسين للتاريخ المروي، لأنه مـتـصل بـالمتـغيـرات الرسـمـيـة وبشأن المـلـوك والـساسـة والعلاقـات الـداخـلـية والخـارجية. والـثـاني لا يـسمح بـالاختلافات حوله لأنه نـتاج فـكـري وثقـافي وتـقـني مرتبط بما كـان عـليه الـتـطور الانـسـاني في الزمان والمكان المحددين.

وقـد استطاع المؤلف تـقسيـم التاريخ المروي إلى ثلاثـة مراحل مـتميـزة لأول مرة في تـاريخ الدراسات المروية، فيـما أعـلم، لانه انحـاز إلى الأطروحة التي تـقول بـاسـتـمرار التاريخ الكـوشي – المروي– لمـدة العـشرة قـرون التي عـاشتها المـملكة، من عـاصـمـة واحدة، هي مـديـنـة مروي الـقديمة. ذلك بعـد أن ناقش الأطـروحـة الأخرى، التي تقول بفـترتين متـصلتين لـلتاريخ الكوشي– المروي–، من عاصمـتين مختـلفتين، هـما نبـتة أولاً ثـم مروي القديمة ثـانـيـا ومع أن هنالك الآن أطـروحـة ثالثـة تـقـول بأن الـتاريخ الـكوشي هـو تـاريخ ممـلـكـتي كـرمـة ونبتة معاً، وإن انفـصلتا عن بعضها البـعض لمدة زمنيـة ممتدة. وأكد التاريخ المروي، هو تـاريخ ممـلكة وحضـارة مروي الممتد من حوالى ١٠٠٠ ق.م إلى ٣٥٠ م. ذلك دون أغفـال حـقيقة تـداخل التـاريخين تـداخلاً كـبيراً ربمـا أدى إلى حكم كل منهمـا حيز الآخر في فتـرتين مختـلفين، كون أن التاريخ الـكوشي مرتبط أكثـر بعالم البحـر المتوسط والتاريخ المروي مرتبط أكثر بالأفريقية . كما أن هناك غياباً شبه تام لآثار نبتة صوب الشلال الرابع.

إلا أن الأطروحة التي انحاز لهـا مؤلف كتاب مملكة مروي.. التاريخ والحضارة مازالت هي الأقوى حتى الآن من بين كل الأطروحات المقدمة لتـفسير تاريخ وحضارة السـودان القديم في الفترة من حوالى ١٠٠٠ ق.م وحتى ٥٠٠م.

ومما أجاد فيه المؤلف، مـا ضـمـنه كتابه عن الـلـغة المروية، تـخصـصه الاصل، وعن الـدين المروي، اطـروحته لدرجة الـدكتوراة. فـهذان جـانبـان تركـا في معظم الكـتب الـشاملة عن تـاريخ وحضـارة مروي لـلـمـتخصصين، والكتب المتخصصة، مما حرم الدارسين والقارئين من رؤية الحضارة المروية في شمول.

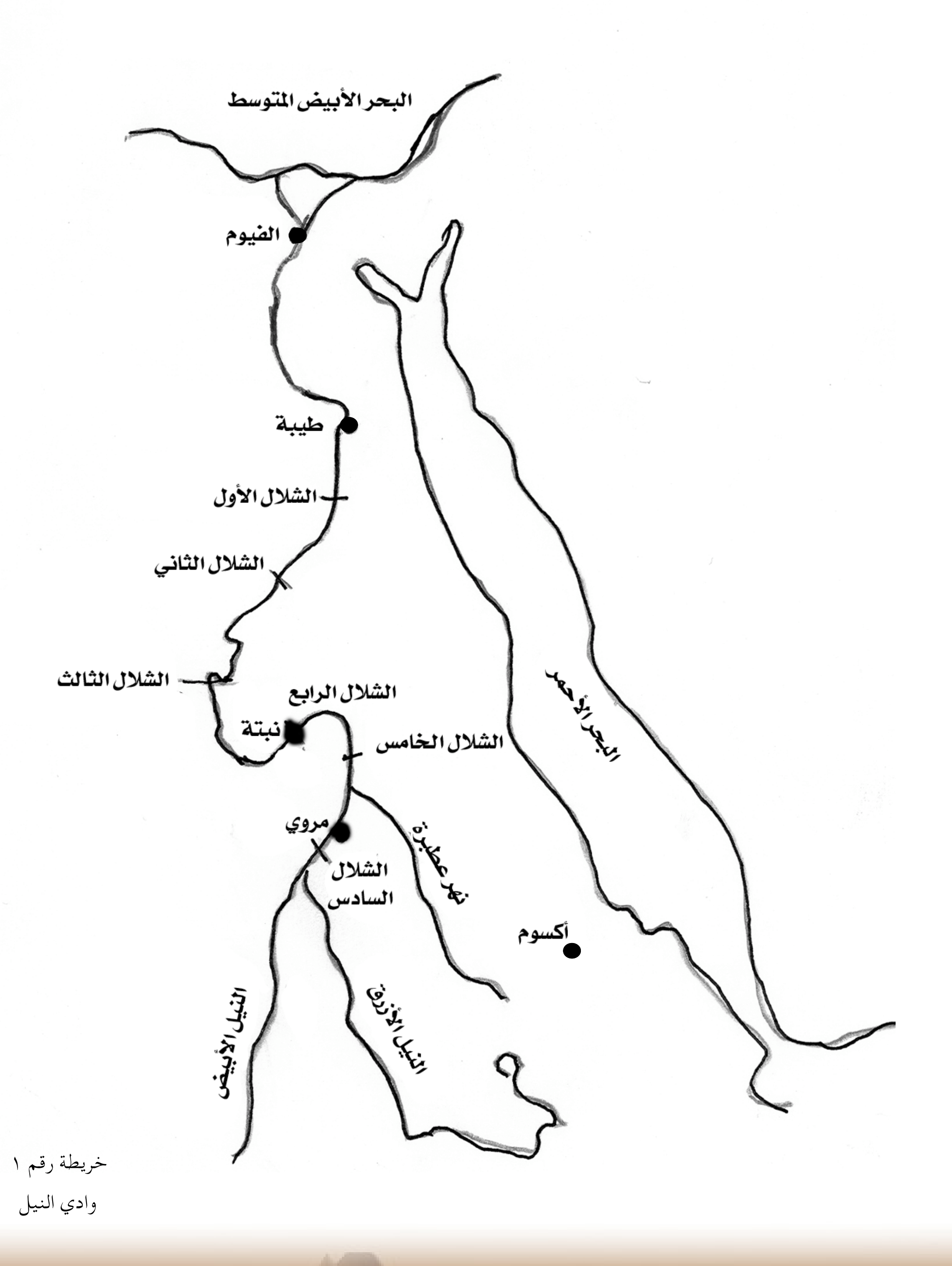
وعـليه فـان هذا الـكـتاب ملائم ومـفـيد لـلـمـتخصـصين وغـير المـتـخصـصين من الـقـراء والدارسـين. وهو بـهذه

الصفة يسد فراغاً كبيراً في المكتبة السودانية، طال انتظارنا لسده.

ويحوي الكتاب ما يكفي من الوسائل الاضاحية لمساعدة القارئ والدارس على فهم الحبكة التاريخية ، ذلك في شكل خرائط وصور فوتغرافية ورسومات قديمة. كما أن قائمة المصادر والمراجع تغطي جل ما كتب عن مملكة مروي وحضارتها.

والله الموفق

بروفيسور علي عثمان محمد صالح
قسم الآثار - جامعة الخرطوم
ديسمبر - ٢٠٠٥م



خريطة رقم ١
وادي النيل



مقدمة

أقدم للقارئ الكريم كتاب « مروي : التاريخ والحضارة » الذي تمت كتابته بتكليف وتشجيع من وحدة تنفيذ سد مروي التي إستشعرت أهمية الكشف عن التراث الحضاري للمنطقة التي ستغمرها مياه السد وخيراته . . ومعلوم أن المنطقة المعنية كانت تحتل في الماضي حيزاً كبيراً وحيوياً من أراضي مملكة مروي، موضوع كتابنا، وسيتضح للقارئ أن تلك المملكة حكمت أجزاء واسعة من سودان اليوم ولفترة تجاوزت العشرة قرون « ٧٥٠ ق.م- ٣٥٠ م » تأصلت فيها كثير من جذور الثقافة السودانية، وإن أهل السودان في عهد مروي حققوا الندية كما نافسوا الحضارات القديمة التي كانت مزدهرة في زمانهم في الشرق الأدنى وحوض البحر الأبيض المتوسط وأضافوا وشاركوا في بناء لبنات الحضارة الإنسانية في تلك الأزمنة .

وعند الكتابة رميت لأن يكون الكتاب متيسر الفهم والفائدة لأكبر قاعدة من القراء بما فيهم هواة الإطلاع والمعرفة بالتاريخ القديم والمثقفون والطلاب الجامعيون وذلك بالابتعاد عن أسلوب المتخصصين ومنهجهم في الكتابة عن التاريخ القديم والآثار، كما تجنبنا الخوض في تفاصيل التاريخ المروي وإستعراض الحجج المطولة عن بعض المواضيع الخلافية واكتفينا باختصار ذلك حتى لا نرهق القارئ غير المتخصص، وحرصنا في ذات الوقت أن يكون الكتاب مرآة صادقة لما كانت عليه المملكة المروية وأن تكون موضوعاته مفاتيح لمن يريد الاستزادة عن تلك الحضارة التي كانت تشع نوراً ومعرفة في أفريقيا جنوب الصحراء في وقت كانت فيه أجزاء كبيرة من العالم القديم، وليس أفريقيا وحدها، تعيش في عالم الجهل والبدائية .

وسيلاحظ القارئ أننا تحدثنا عن الحضارة المروية لتشمل ما كان يعرف بفترتي نبتة ومروي وبينا حججنا الداعمة لذلك في داخل الكتاب، وإحتوى الكتاب على جزئين رئيسيين أولهما عن تاريخ المملكة- النشأة والإزدهار والإضمحلال، أما الجزء الثاني فقد تناول الحضارة المروية كما تجلت في أوجهها المختلفة .

وأخيراً الشكر موصول لكل من ساهم في إعداد هذا الكتاب بالرأي والمشورة والتشجيع.. وأخص بالشكر الأخ عمر باسان وخالد وفنيا الطباعة نشأت الامام وأنس حسن..

وجزيل الشكر نزجيه لوحدة تنفيذ مشروع سد مروي – وزارة الري والموارد المائية على مبادرتها وابتداعها وتشجيعها وتمويلها لهذه الاصدارات. هذه الإدارة التي لم تحصر جهدها في الإنشاءات الهندسية للسد وإنما تعدت لتوثيق حياة المجموعات السكانية المتأثرة من قيام السد مع إبراز الجوانب الثقافية والحضارية للمنطقةفي ماضيها التليد وحاضرها الزاهر باذن الله.

بروفيسور/ عمر حاج الزاكي

الخرطوم سبتمبر ٢٠٠٥م

المحتويات

فهرس الخرائط والأشكال والصور

الفصل الأول

مملكة مروي: النشأة الازدهار والاضمحلال

الفصل الأول

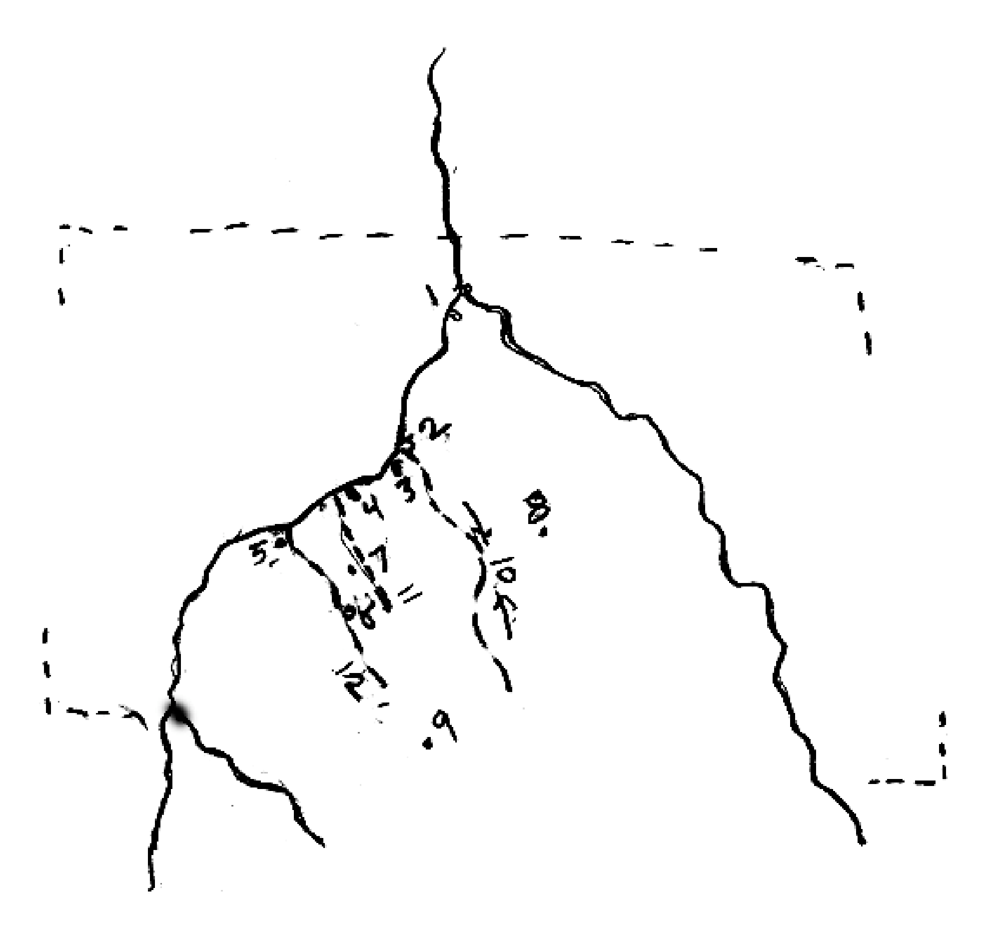
مملكة مروي: النشأة والاضمحلال

ينسب المرويون لحاضرة بلادهم ومقر ملكهم مدينة مروي، وهي غير مروي الحديثة إذ تقع خرائب المدينة القديمة، بجوار قرية البجراوية على الضفة الشرقية لنهر النيل وعلى بعد ٢٠٠ كيلومتر شمال شرق الخرطوم.

وأول من ذكرها بهذا الاسم من الكتاب الكلاسيكيين هردوت (٤٣٩ق.م) ضمن كتابه « التاريخ » (١)، وإن لم يصل هردوت مروي أثناء تجواله في العالم القديم غير أنه وصل أسوان واستقى معلوماته عن بلاد المرويين من هناك، وتضمن ما أورده وصف الطريق إليها وأطماع الفرس فيها، كما ذكر أنها عاصمة الأثيوبيين « السود »وفي المصادر المحلية جاء أول ذكر لمروي في لوحة الملك آمون نوتي يركي « ٤٣٥-٤١٧ ق.م » ويلاحظ أن هيردوت وهذا الملك كانا معاصرين لبعضهما البعض. « ٢ »

وبعد هردوت خمد ذكر مروي في المصادر القديمة الخارجية لما يقارب أربعة قرون حينما ذكرها دايدور الصقلي Diodorus Siculus (٣) ثم استرابو Strabo (٤) وأشارا إليها باسم « جزيرة مروي » لموقعها في منطقة يحفها نهر النيل من جهة الغرب ونهر عطبرة من جهة الشرق والشمال الشرقي حيث يلتقي النهران، والواضح أنهما يقصدان المنطقة الواسعة المحصورة بين النهرين، ويشمل ذلك مدينة مروي والضواحي المؤدية إليها أو التابعة لها وبقى من ذلك معروفاً منها النقعة والمصورات في سهل البطانة الممتد إلى الشرق من مدينة مروي ومواقع أثرية أخرى.

أما المرويون أنفسهم فقد كانوا يكتبون اسم مدينتهم بطريقة مختلفة عن الطريقة التي نطقها بها الكتاب الكلاسيكيون وورثناها عنهم، وقد ورد اسم المدينة مكتوباً باللغة المروية على ثلاثة أشكال هي: (٥)



١– الدامر
٢– مروي
٣– كبوشية
٤– شندي
٥– ودبانقا
٦– النقعة
٧– المصورات
٨– أم اسوده
٩– جبل قيلي
١٠– وادي هواد
١١– وادي البنات
١٢– وادي عواتب

خريطة رقم ٢ جزيرة مِروي

١ بدوي Bedew (e,i)
٢– مَدَوِي Medew (e,i)
٣– مَدوِي Mdew (e,i)

ويلاحظ من ذلك أن المرويين بدأوا كتابة اسم مدينتهم بحرف « الباء » أو « الميم » كما لم يرد حرف « الراء » ضمن الحروف المكونة للاسم، فكيف إذاً سمعها الإغريق بالطريقة التي وصلت إلينا؟ والإجابة تكمن في حقيقة أن حرفي الباء والميم، يتبادلان المواقع كما في حالة المدينة المقدسة « مكة » التي تنطق أيضاً « بكة »، أما حرف الراء والدال، فثبت أنهما أيضاً يتبادلان المواقع كما جاء في اسم مدينة أبريم، التي كانت تكتب في الديموطيقية المصرية « أبديم » وان « ابرمك » تكتب بالمصرية الهيروغليفية « ابرمك » « ٦ »

وقد ظل موقع مدينة مروي التي أشار إليها الكتاب الكلاسيكيون مجهولاً حتى مطلع القرن العشرين حينما قام البريطاني قارستانج Garstang (١٩٠٩–١٩١٤م) « ٧ »بحفرياته في آثار تلك المدينة. « * » وإن لم يشمل التنقيب حتى الآن كل أجزاء المدينة وإن بعضاً مما كشف عنه قارستانج مازال قابعاً في متحف ليفربول دون دراسة، غير أن ما كشف من تلك الآثار أعطى صورة وافية لأبرز معالم تلك المدينة في أيام مجدها وسلطانها.


صورة رقم ١
الحمام الملكي

وتكونت المدينة من ثلاثة أجزاء: المدينة الملكية المسورة ومعبد آمون الكبير ومساكن العامة، وضم الجزء الأول القصور الملكية والحمام الملكي الذي يعرف أيضاً بالحمام الروماني (Roman Bath)، وهو عبارة عن حوض كبير بطنت جدرانه الداخلية بالطوب الأحمر وزينت حوافه العليا بأشكال مصنوعة من الجبص، وكان الماء يرد إليه من بئر مجاورة (٨)، وأغلب الظن أن هذا الحمام كان للسباحة كما كان مكاناً للاسترواح على نسق الحمامات الرومانية وإن لم يكن مصمماً مثلها تماماً. (صورة رقم ١)

أما الجزء الشرقي من المدينة والذي يقع خارج السور فقد برز فيه وملاصقاً للسور معبد « آمون » كبير آلهة المرويين، ومساكن العامة والمنطقة الصناعية حيث وجدت أفران صهر الحديد.

« * » وإن قام قارستانج بالحفريات التي أكدت موقع مروي غير أن أول من تعرف عليها من ظاهر آثارها هو الرحالة الإنجليزي جيمس بروس الذي مرّ بخرائبها في البجراوية في عام ١٧٣٢م كما كان سايس « sayce » أول من طابق بين إسمي المدينتين « مدوي » في اللغة المروية « MFPON » في الأغريقية « مروي » « راجع LAAA, VII,VIII,15-24 »

أما خارج حرم المدينة وإلى الشرق منها، فقد تناثرت العديد من الآثار منها المعابد، وأهمها معبد الشمس (٩)، وأكوام كبيرة من نفايات الحديد ومقابر العامة والأمراء واهرامات البجراوية الملكية.

المواقع المروية الأخرى:

انتشرت مدن وقرى المرويين في مساحات واسعة من السودان القديم وفي بيئات مختلفة بعضها بعيد من مركز الدولة. وكانت معظم تلك المواقع، كما هو الحال ، في الزمن الحاضر، تقع على ضفاف النيل أو قريباً منه لاعتماد السكان على الزراعة النهرية. ونجد أن معظم مدن وقرى المرويين في شمال المملكة قامت على ضفة النهر الغربية بينما تكاثرت تلك المواقع وسط وجنوب المملكة على الضفة الشرقية للنهر.

وما يؤسف له أن الكشوف الأثرية السابقة ركزت كثيراً على الآثار البارزة على السطح مثل المعبد والأهرامات والمدافن فيما عدا الجهد الكبير الذي بذل لإنقاذ آثار النوبة بسبب تعلية خزان سد أسوان وقيام السد العالي.

وفيما يلي نستعرض أسماء وطبيعة المواقع المروية المختلفة حيث استقر معظم سكان المملكة مع تسليط الضوءعلى أهم المواقع التي حظيت بالتنقيب والدراسة وهي:

نبتة

تردد اسم نبتة أولاً في لوحات تتويج ملوك مروي المكتوبة بالهيروغليفية المصرية وفي كتابات المرويين بلغتهم الخاصة فيما بعد « ١٠ ». وبالرغم من أهمية نبتة في كل تاريخ المملكة المروية لم يعثر على مدينة بفخامة مروي أو دون ذلك يمكن أن يشار إليها بأنها مدينة نبتة، والمرجح أن الاسم لم يكن يطلق على بلدة محددة وإنما كان يطلق على منطقة « كريمة– مروي » الحالية كلها حيث يطل على المكان جبل البركل. وكان الجبل مقدساً بالنسبة للمرويين الذين اعتقدوا ان كبير آلهتهم الأعظم «آمون» كان يسكن في هذا الجبل.

وجدت نبتة أهميتها الدينية منذ الهيمنة المصرية على شمال السودان في عهد الأمبراطورية. وبقيت من آثار ذلك العهد معابد عديدة، بعضها نحت في صخر الجبل والبعض الآخر شيد أمامه. وعند قيام المملكة المروية المتوسعة شرع ملوكها منذ بعانخي في تشييد العديد



١– فيلة
٢– كلابشة
٣– دكا
٤– اريكا
٥– شبلول
٦– كرنوق
٧– قصر ابريم
٨– جبل عدا
٩– بلانا
١٠– قتل
١١– فرس
١٢– ارقين
١٣– بوهين
١٤– مينارتي
١٥– جمنارتي
١٦– صادنقا
١٧– صلب
١٨– كدرمة
١٩– تمبس
٢٠– كرمة
٢١– تابو
٢٢– كوه
٢٣– الكرو
٢٤– صنم ابو دوم
٢٥– جبل البركل
٢٦– نوري
٢٧– دناقيل
٢٨– مروي
١٩– ود بانقا
٣٠– المصورات
٣١– النقعة
٣٢– جبل قيلي
٣٣– الكوة
٣٤– جبل مويه
٣٥– سنار
٣٦– ابو قيلي

خريطة رقم ٣ مملكة مروي وأهم المواقع

من المعابد في ذات المكان. وصار معبد آمون الكبير في البركل « B500 » اعظمها عمارة وأكثرها أهمية. وظلت نبتة كما بينا في مكان آخر« ١١ » العاصمة الدينية حيث كان تتويج ملوك مروي الفعلي يتم فيها.

ومن الآثار البارزة الأخرى في منطقة نبتة مقبرة الكرو « ١٢ » . التي تضم رفات الأجداد المؤسسين لنهضة الكوشيين. وبجانب المقبرة أشار رايزنر إلى سور ومعبد هناك لم يحدد تاريخهما. وفي اعتقادنا أن قرية الكرو أو « الكورو » كما ينطقها البعض مازالت تحمل الاسم المروي القديم « كور » الذي يعني الملك ولا نستبعد أن تحريفاً أو اختصاراً قد حدث لأصل الكلمة التي ربما كانت تعنى « الملكية » وربما اطلق عليها ذلك الاسم لوجود الجبانة الملكية فيها أو لأنها كانت مقراً للملوك الأوائل أو للسببين معاً. ومما يؤسف له أن الكرو، في غير مقابرها لم تحظ بتنقيب جاد للبحث عن آثارها. وحتى يتم ذلك فإن لدى الكاتب قناعة شديدة بأن الملوك الأوائل عاشوا حيث دفنوا إذ من الجائز أن أسلاف بعانخي نزحوا من مروي إلى الكرو أو العكس، وظل النازحون على صلة بجذورهم الأسرية مثل ما يتكرر في سودان اليوم من استمرار للعلائق الأسرية بين من ينزحون من الأقليم الشمالي إلىمدن السودان الأوسط وذويهم في الشمال، علماً بأن أسماء بعض من قبروا في الكرو قد وجدت في مقبرة البجراوية الجنوبية ومن تلك الأسماء أسمي كاشتا وإبنه بعانخي. « ١٣ »

ويبقى السؤال هل كانت الكرو مقر أو عاصمة الكوشيين الأوائل أم أن الكرو ومروي كانتا مكملتين لبعضهما البعض قبيل فتح بعانخي لمصر؟

وفي منطقة نبتة ازدهرت في العهد الكوشي « المروي » صنم أبودوم « مروي الحديثة » وفيها وجدت مقبرة كبيرة ضمت « ١٥٠٠ » قبراً ومعبداً كبيراً لآمون وربما قصر ملكي. « ١٤ » وتميزت المقبرة بفقر محتوياتها ولكنها كانت دليلاً كافياً على استيطان بشري هناك، وفي وقت مبكر من عمر الدولة الكوشية « المروية »، وربما كان جل المقبورين فيها من الكهنة والعاملين الذين كانت المنطقة تحتاج لخدماتهم. وجدير بالملاحظة أن الملك نستاسين حينما عبر صحراء بيوضة في رحلة تتويجه ووصل إلى « تاقات » « صنم أبودوم أو نوري » على ضفة النهر اليسرى المقابلة لجبل البركل ووصف ذلك المكان بأنه « المكان الذي نشأ فيه الملك بعانخي الارا » « ١٥ »

ومن المواقع الاستيطانية ذات الأهمية التي أزدهرت في محور نبتة في وقت مبكر من عمر المملكة جماتون « الكوة » بالقرب من دنقلا حيث وجد العديد من المعابد، وكانت الكوة من

المراكز الدينية ذات الأهمية وربما كانت عاصمة إدارية اقليمية. « ١٦ »

بجانب هذه المواقع ذات الأهمية الخاصة أزدهرت مواقع مروية عديدة في محور المملكة الشمالي، خاصة في القرون الأولى بعد الميلاد كما أزدهرت مواقع أخرى في محور المملكة الجنوبي. وبين هذه المواقع ما تأكد استيطان المرويين فيه لوجود آثار منازل ومدافن بينما لم يتأكد ذلك في مواقع أخرى لقصور في البحث الأثري أو لأختفاء تلك الآثار أو لأسباب أخرى، ومن المواقع التي حظيت بالتنقيب أو المسح الأثري في شمال المملكة: فيلة وشبلول ودابود وكلابشة وقصر ابريم وأرمينا غرب وجبل عدة وبلانا وقستل وفرس وأرقين وبوهين ومينارتي وجمنارتي ومرقسة والعمارة شرق ومسمينا وصادقنا وصلب وكدرمة وتمبس وكرمة وتابو والدناقيل وجبل ناخور وفي محور المملكة الجنوبي، بجانب مروي، يذكر من المواقع المروية ودبانقا والمصورات الصفراء والنقعة وجبل قيلي والبعصة وأم أسوده، والكوة الحديثة وجبل تومات وجبل موية وسنار وأبوقيلي.

ولن تتضح الصورة الحقيقية عن طبيعة الاستيطان البشري في هذه المواقع إلا بعد التنقيب الأثري الجاد، خاصة في مواقع سهل البطانة في النقعة والمصورات الصفراء والبعصة وأم اسوده حيث بقيت فيها بجانب آثارالمعابد حفائر ضخمة لتخزين مياه الأمطار، وتبين من المسح الآثاري وجود مدافن للناس في النقعة مما يشير إلى أنها كلنت من المناطق الاستيطانية الكبيرة البعيدة عن النهر.

المرويون:

كتب الكثير عن المرويين وحضارتهم ولكن كتابين تناولا « مروي » بطريقة مباشرة وشاملة، أحدهما أصدره عالم الآثار قارستانج وآخرون Garstang في عام ١٩١١م، بعنوان Meroe,The City of the Ethaopions أي (مروي، مدينة المرويين)، ومادة الكتاب مستقاة من معطيات الحفريات التي قام بها قارستانج في آثار المدينة (١٧)، أما الكتاب الثاني فقد أصدره شيني Shinne في عام ١٩٦٧م بعنوان Meroe:civilzation of the Sudan أي (مروي: حضارة سودانية) (١٨). وغير ذلك كتب الكثير عن أوجه الحضارة المروية المختلفة.

وتأتي إصدارتنا هذه عن « تلريخ وحضارة مروي » إكمالاً للجهود المستمرة للتعريف بهذه المملكة التي ظلت تحكم رقعة واسعة من السودان، حكماً مستقراً ومستمراً لعشرة قرون متصلة

تقريباً.

والفترة المروية المعنية بالدراسة تبدأ في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وهو تاريخ ظهور تلك القوة الناهضة في شمال السودان، والتي كانت قادرة على غزو مصر وإخضاعها لسلطانها وتنتهي باضمحلالها وزوالها في منتصف القرن الرابع الميلادي.

ورأينا إطلاق صفة «المروية» واسم المرويين على حضارة وآل كل تلك الحقبة رغم علمنا بما قد يثار من تساؤلات سببها ما سبق أن شاع بين الكتاب والدارسين من تسميات لحقب التاريخ المروي، وقبل تبرير ما ذهبنا إليه من تسمية شاملة بهذه الحقبة نستعرض بايجاز أشهر التسميات التي أطلقت على بلاد السودان القديمة عموماً، ثم أسباب ما وصلنا إليه في النهاية من قناعة دفعتنا لإطلاق صفة المروية على الحضارة التي سادت في تلك الحقبة وعلى تلك الرقعة من بلاد السودان القديم، خلافاً لما تعارف عليه الناس عن قيام مملكتين متعاقبتين في تلك الفترة، «مملكة نبتة» ثم «مملكة مروي»، والتسميات هي:

١– بين الأسماء والصفات العديدة التي اطلقت على أقوام السودان الشمالي تكرر ورود الأسماء «واوات، و «كوش» و«تانحسي» و«تاسيتي» و«نوبادي ، نوباي، نوبة» واشتهر من هذه الأسماء اسم «كوش» في العالم القديم وعرفت به البلاد وأهلها لدى الشعوب الأخرى – الآشوريون والعبرانيون والاكسوميون – بل ونستطيع تبين اسم «كش » «كوش» في لوحة الحمداب المكتوبة بالخط المروي (١٩) والتي يرجع تاريخها للقرن الأول قبل الميلاد كما ورد اسم «كاسو» في نقش عيزانا الذي يعود للقرن الرابع الميلادي. «٢٠».

وإن جاز اطلاق الاسم «كوش» والكوشيين على البلاد واهلها طيلة فترة ازدهار الحضارة السودانية بين القرنين الثامن قبل الميلاد والرابع الميلادي فيجوز ايضا اطلاق اسم المرويين على سكان البلاد نسبة لعاصمة ملكهم مروي. وظاهرة تسمية الاقطار باسماء عواصمها أو العواصم باسماء اقطارها ظاهرة قديمة وحديثة كما أن بعض الحضارات تأخذ اسمها من جنس مؤسسيها أو اسم حواضرهم أو الاثنين معاً مثلما ما في حالة مملكة سنار في السودان «١٥٠٠– ١٨٢١». ومعلوم أن هذه المملكة عرفت بثلاثة اسماء مختلفة مملكة سنار «نسبة لحاضرتها سنار وعرف اصحابها بالسناريين» ومملكة الفونج «نسبة لاسم القبيلة المؤسسة لها » والسلطنة الزرقاء «نسبة للون بشرة المؤسسين» وفي عالمنا المعاصر نذكر اربعة نماذج هي الجزائر وتونس والكويت والمكسيك، فمدينة الجزائر مثلا هي العاصمة والجزائر هي القطر والجزائريون السكان ومثل ذلك

يقال عن تونس والكويت والمكسيك. ولاعتقادنا ان اسم كوش الذي كان يطلق قديما على رفعة محدودة بين الشلالين الثاني والرابع ومركزها كرمة اصبح بالنسبة للعالم الخارجي، بعد نهضة الكوشيين، في القرن الثامن قبل الميلاد يشمل اقليما اوسع في وادي النيل الأوسط بل أصبح اسم الكوشيين يطلق على سكان ذلك الاقليم. وفي هذا المضمار نعلم ان اسم كاشتا «كاشتو» والد بعانخي يعني الكوشي باللغة المحلية(٢١) وظل احفاد كاشتو «الكوشيون» يتوارثون حكم البلاد حتى بدأ النوبيون يمتلكون ارض النيل بين مروي واسوان ابتداءً من القرن الثالث قبل الميلاد وحل اسمهم مكان اسم كوش تماماً مع قيام وازدهار ممالكهم في القرن السادس الميلادي. ولهذه الأسباب مجمتعة رأينا الاحتفاظ باسم «الجنس» كوشيون مع الإسم الآخر «مرويون » المشتق من اسم العاصمة مروي وعرفناهم بالاسمين وبمدلول واحد– مريون «كوشيون».

ورغم شيوع اسم كوش في العالم القديم في فترة إزدهار مروي الأولى، لا يجوز إطلاق صفة الكوشية على الحضارة المروية لاقتصار اسم كوش في الأصل على جزء من بلاد السودان (بين الشلال الأول والرابع) ومثل ذلكيقال على الأسماء الأخرى «واوت، وتانحسي، وتاسيتي» *

٢– وأطلق الإغريق اسم الصفة «أثيوبيين» (ذوي الوجوه السوداء) على المرويين وعلى الملل السوداء البشرة عموماً، والتسمية في معناها وعموميتها تطابق التسمية العربية –بلاد السودان– التي أطلقها الإخباريون والكتاب العرب على البلاد الأفريقية الواقعة بين الصحراء الكبرى والغابات الاستوائية، وحينما بدأ الاهتمام بكتابة التاريخ المروي في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، اختار الرواد الأوائل من كتاب ذلك الزمان التسمية الاغريقية وأطلقوا صفة الاثيوبيين على ملوك الدولة المروية، وحالياً تخلى الجميع عن هذا الاسم لعموميته ولما يثيره من إرباك بعد أن أصبح الاسم «اثيوبيا» اسماً رسمياً لدولة «الحبشة».

٣– وأخيراً التجأ الباحثون لإطلاق صفة «النبتية» المشتقة من اسم مدينة «نبتة» على الحقبة الأولى من التاريخ «المروي» وصفة «المروية» المشتقة من اسم مدينة مروي القديمة على الحقبة اللاحقة.

وكان وراء هذا التقسيم الذي اخذ اسمى أكبر مركزين حضريين في المملكة الكوشية الاعتقاد بان نبتة كانت حا ضرة المملكة الناهضة في البداية وتميزت اثارها بالطابع المصري ثم انتقلت العاصمة إلى مدينة مروي حيث تغلب الطابع الحضاري المحلي الافريقي.

***** ومن رأي بعض المتخصصين تقسيم حقب تاريخ السودان منذ كرمة وحتى نهاية مروي، إلى ثلاث حقب تميز كلها باسم كوش، وبذلك تكون فترة كرمة هي كوش الأولى وفترة نبتة كوش الثانية، وفترة مروي كوش الثالثة.**

واختلف الباحثون اختلافا كبيرا في تحديد تاريخ ذلك الانتقال كما اختلفت الدوافع وراء ذلك الانتقال بالنسبة لكل واحد منهم. ودون الخوض في تفاصيل ذلك نقدم في الاسطر التالية موجزاً مختصراً لتلك الآراء ونحيل القارئ الكريم للمصادر التي سنشير إليها إن رغب في الوقوف على الحجج المقدمة. وفي هذا الخصوص يرى فوزي فيهم جاد الله(٢٢) ان مروي اصبحت عاصمة للكوشيين بعد عام ٦٦٤ ق.م بعيد اجلائهم من مصر بينما يرى اركل ان الانتقال تم بعد عام ٥٩١ ق.م تاريخ غزو الفرعون المصري بسماتيك لنبتة وما احدثه من دمار فيها.(٢٣)

اما دنم Dunham فيرى ان الانتقال تم تدريجيا ليكتمل في عام ٥٣٨ ق.م وحدد رايزير (Resiner) تاريخا متأخراً لذلك الانتقال يعود لنهاية القرن الرابع قبل الميلاد « ٣١٠ ق.م » ومما زاد الأمر تعقيداً أقوال بعض المتخصصين بوجود عاصمتين للمملكة ولبعض الوقت، بدليل وجود اهرامات « ملكية » في البركل تزامن وقت تشييدها مع تشييد اهرامات ملكية في مروي البجراوية.(٢٤)

وخلافاً لكل هذه الآراء المتباينة التي تقول بوجود مملكتين متتابعتين وعاصمتين هما نبتة ثم مروي ننفذ لرأي مغاير يرفض فكرة المملكتين والعاصمتين ويخلص للقول بأن مدينة مروي كانت العاصمة الملكية الوحيدة للملكة المروية المتوسعة التي ارسى سلطانها كاشتا « كاشتو » وابنه بعانخي منذ منتصف القرن الثامن قبل الميلاد وسادت في السودان حى منتصف القرن الرابع الميلادي فيما عدا الفترة القصيرة « ٧٠١– ٦٦٣ق.م » التي نقل فيها الكوشيون « المرويون » عاصمة ملكهم الى مصر ليتمكنوا من إدارة الاقليم كله ومواجهة الغزو الآشوري والرأي الأخير للدكتور احمد الحاكم (٢٥) يجد منا القبول لقوة حججه التي نوردها فيما يلي

١– لم يرد في أي نص من الفترة المعنية كما لم يرد في المصادر الخارجية ما يفيد بأن نبتة كانت عاصمة للملك أو أنها كانت مقراً لأي من الملوك، بينما أكدت النصوص كل ذلك عن مدينة مروي وحتى الملك تانوتا مني خليفة تهارقا (٦٦٣ق.م) أشار إلى ذلك المكان « بالمكان الذي كان فيه » ليصل إلى نبتة في ثلاثة أيام ونرجح أن ذلك المكان كان مروي.(؟)

٢– لم يعثر على مدينة ملكية في نبتة بفخامة مروي بقصورها وعمرانها.

٣– ثبت أن مروي مدينة قديمة وأن النشاط البشري بدأ فيها منذ القرن العاشر قبل الميلاد أي قبل ظهور المملكة المتوسعة بأكثر من قرنين (٢١)

٤– إن أسماء ملوك كوش (مروي) الأوائل كاشتا، وبعانخي، وشبكو، وسنكامنسكن،

واسم ابنة بعانخي، وجدت في أنقاض المدينة الملكية في مروي وفي بعض مدافن المقبرة الغربية الملكية في البجراوية « ٢٢ » .

٥- بجانب الشواهد الأثرية التي عثر عليها في مروي والدالة على التداخل بين من دفنوا في الكرو « منطقة نبتة » وبعض ذويهم القاطنين في مروي، فإننا نجد في لوحات الملوك تهارقو واسبلتا، ونستاسين، وهي لوحات من عهود متباعدة ما يؤكد إحساس واعتزاز أولئك الملوك بالانتماء للأصل والأسرة الواحدة « ٢٣ »

٦- الدارس للتركة الأثرية المروية لا يملك إلا أن يقتنع بوحدة واستمرار تلك الحضارة، وأن ما بدا من تمايز وانعتاق أحياناً عن الطابع « النبتي -المصري » من آثار في محور مروي لا يعدو أن يكون تطوراً طبيعياً في حياة دولة تنوعت ظروف علاقاتها الخارجية وتباينت أقاليمها الجغرافية وامتد عمرها لألف عام متصلة، وليس في ذلك إقلال أو إغفال لمكانة منطقة نبتة التي ظلت بمعبدها الكبير تحتل هي وإلاهها «آمون نبتة» موقع الصدارة بين المواقع المروية من حيث القدسية.

وللتمايز في بعض المظاهر الحضارية خاصة في طريقة بناء المعابد والمدافن وما تبع ذلك من انتقال لمركز الثقل العمراني من شمال المملكة إلى جنوبها ثم إلى شمالها مرة أخرى فقد رأينا تقسيم التاريخ المروي إلى ثلاث حقب.. ونسبة للتدرج البطئ الذي يواكب التحول من حقبة إلى أخرى فإننا لا ننوي تحديد تواريخ محددة لبداية ونهاية كل فترة، وتلك الفترات حسب تقديرنا هي:

١- الفترة المروية الأولى:

ويقع تاريخها بين بداية النشاط العمراني الديني الكبير الذي بدأ بعهد الملك بعانخي (٧٥١ق.م) في البركل وبلغ قمته في عهد الملك تهارقو (٦٩٠ق.م) ثم بدأ في الانحسار بعد عهد الملك اسبلتا (٥٩٣ق.م) بعد غزو الفرعون بسماتيك الثاني لشمال السودان (٥٩٢ق.م) والتدمير الذي أحدثه في معابد البركل.

٢- الفترة المروية الثانية:

وتبدأ ببداية نشاط الملك اسبلتا (٥٩٣-٥٦٨ ق.م) في مروي، وأقدم وأشهر أثر منسوب إليه هناك « معبد الشمس » وتنتهي هذه الفترة بنهاية النشاط العمراني الواسع الذي ساد أرجاء المملكة شمالاً وجنوباً في عهد الملك المروي نتكامني في بداية القرن الأول الميلادي، وتميزت

هذه الفترة بازدهار العمران في محور مروي وانعتاقه من النمط المصري الخالص، وفي هذه الفترة انتقل الدفن الملكي من جبانة نوري الملكية إلى مقبرتي البجراوية الجنوبية فالشمالية، وتناثرت في محور مروي كثيرمن المعابد، ولا تزال آثار المصورات الصفراء والنقعة تقف شاهداً على اتساع وعظمة ذلك النشاط.

٣- الفترة المروية الثالثة:

وتبدأ بالقرن الأول الميلادي وتنتهي بزوال الدولة المروية في منتصف القرن الرابع الميلادي، وفي هذه الفترة عاد الازدهار مرة أخرى إلى محور المملكة الشمالي بعد تعمير المرويين لما عرف بالنوبة العليا والنوبة السفلى، نتيجة للعلاقات الطيبة التي سادت بين المرويين ومصر الرومانية.

أرض مروي

وان لم يعد من الممكن رسم حدود الدولة المروية في السودان بالدقة المطلوبة غير أن الآثار المتبقية تؤكد أنها بسطت نفوذها على رقعة واسعة من أواسط البلاد. ومن المؤكد أن كل أرض وادي النيل بين ملتقى النيلين والنوبة السفلى كانت تحت إدارة الدولة المروية في أوقات مجدها وقوتها. أما الآثار المروية المنتشرة في إقليم الجزيرة بين النيلين الأبيض والأزرق وفي مواقع في كردفان تجعلنا نرجح وصول التأثيرات الحضارية لتلك البقاع ولا نستطيع القطع بتبعيتها الإدارية لمروي من عدمه. وفي سهل البطانة بعيداً عن النيل بقيت آثار المرويين في النقعة والمصورات وجبل قيلي وغيرها ولا شك أن أجزاء واسعة من ذلك الإقليم تبعت لإدارة الدولة المروية وخضعت لسلطاتها وخلاصة الرأي يبقى القول أن إقليم وادي النيل الأوسط وهو الإقليم الممتد على ضفاف النيل في مجراه الرئيسي حتى الحدود المصرية بالإضافة إلى اقليم الجزيرة كان مركز النشاط السياسي والحضاري للمملكة.

ومنطقة وادي النيل الأوسط، وهي أرض الحضارات المتعاقبة في السودان قبل وبعد مروي تزخر بالأراضي الشاسعة والخصبة، والسهول الفيضية والجزر النيلية والمراعي الطبيعية في معظم أجزائها، بإستثناء الجهات الشمالية منها، وتتمتع المنطقة عموماً بوفرة المصادر المائية الدائمة من النيل وروافده ومايسقط من أمطار موسمية صيفية على أجزائها الجنوبية والوسطى.

ونظراً لوفرة مصادر الرزق الضرورية للحياة في المنطقة فقد أمها البشر منذ العصور القديمة،

بل تعتبر المنطقة من أكثر بقاع العالم تميزاً في جذب الهجرات الوافدة إليها، ويعزى استمرار الهجرات إليها منذ القدم وحتى وقتنا هذا إلى عاملين أساسيين:

أولهما عامل ذاتي يتمثل في طبيعة المنطقة الغنية بالموارد الضرورية للحياة –الماء والكلأ– يضاف إلى ذلك سهولة الوصول إليها عبر منافذ عديدة من كل الجهات، حيث تنعدم العوائق الطبيعية، ولما تميزت به المنطقة من وفرة الأرض والماء فإن الوافدين إليها لم يعتادوا مواجهة مشقات الحلول في مواضع جديدة يستوطنون فيها أو إثارة عداء ورفض العناصر السابقة لهم في الاستيطان.

أما العامل الثاني وراء استمرار الهجرات إلى أرض مروي القديمة، فيعود إلى ما يحيط بالمنطقة من مواطن طاردة عرفت بتصدير الهجرات البشرية، ففي جهة الشرق ترقد شبه جزيرة العرب التي عرفت موطناً للهجرات الدائمة لأسباب شتى، منها شح الموارد الطبيعية والحروبات القبلية، أما من جهة الغرب فإن البلاد الممتدة من غرب النيل وحتى حدود أفريقيا الغربية عند المحيط الأطلسي –وهي البلاد التي كانت تعرف لدى الإخباريين العرب باسم بلاد السودان، فقد كانت ومازالت تمثل مصدراً دائماً للهجرات نحو أقاليم النيل، وذلك لما تعانيه من تقلبات في المناخ أدت إلى اتساع رقعة الصحراء وتعاقب فترات الجفاف، وأصبحت أرض مروي المعنية بمثابة «الفردوس المفقود» أو الملاذ الطبيعي للجماعات المقيمة في تلك الأقاليم كلما قست عليها الطبيعة أو طحنتها الحروب القبلية.

وبالنسبة لعوامل الطرد في البيئات المحيطة بإقليم وادي النيل الأوسط وعوامل الجذب إليها –كما بيّنّا– فإن تاريخ المنطقة ظل وإلى حد كبير سجلاً لهذه الهجرات واحتكاكها وتفاعلها بالعناصر المقيمة وثقافتها المتجددة أبداً بما يفد إليها، ولم يكن المرويون ولم تكن حضارتهم سوى نتاج لتراكم وتفاعل ثقافات هذه الجماعات كما يتبين في تتبع ذلك في الصفحات التالية.

إن أقدم أثر معروف لاستيطان الإنسان في هذه المنطقة يرجع إلى حوالي عام ٢٠٠,٠٠٠ قبل الميلاد، وهو الأثر المتمثل فيما يعرف بإنسان سنجة الذي ينسب لسلالة البوشمن Bush-men، ويعتبر البوشمن –وهم الذين يعيشون اليوم في المناطق الوسطى والشمالية من صحراء كلهاري وفي القسم الشمالي من افريقيا الجنوبية– من أقدم سكان افريقيا، كما تتفق الآراء على أنهم جاءوا من هضبة شرق افريقيا ثم انتشروا في كل جنوب القارة (٢٤). ومنطقتنا المعنية بالبحث تمثل بحكم موقعها، معبراً من معابر هذا الإنسان جنوباً، بل ربما كانت موطناً له في فترة

من الفترات، غير أننا لا ندرك أثراً معلوماً لهذه الجماعة في أجناس وثقافات المنطقة.

ويمثل ما يعرف عند علماء الآثار بموقع الخرطوم القديمة نشاطاً بشرياً من العصر الحجري القديم حوالي (٥٠٠٠ ق.م) (٢٥) مثلما يمثل موقع الشاهيناب –على بعد حوالي ثلاثين ميلاً شمال الخرطوم– واحداً من المواقع العديدة التي تنسب للعصر الحجري الحديث (٢٦)، وإن لم يعثر على مدافن في الشاهيناب غير أن ما وجد من جماجم في الخرطوم القديمة يشير إلى أن أولئك السكان الأوائل ينتمون لأجناس الزنوج غير أنهم لم يكونوا يشبهون أياً من الجماعات الزنجية المعروفة اليوم إذ تميزوا عنها بضخامة وعظم فكي الوجه (٢٧).

ويقابل المجموعة الزنجية الأخيرة التي تركت آثارها في منطقة الخرطوم القديمة مجموعة أخرى استوطنت أقصى شمال وادي النيل الأوسط، وهي الجماعة التي عرفت باسم المجموعة الأولى A-Group وتنسب هذه المجموعة لأجناس البحر الأبيض المتوسط Brown Medit -Race ولم تختلف المجموعة الثالثة C-Group (٢٣٠٠ق.م) التي استوطنت في الإقليم الشمالي أيضاً في أصولها العرقية عن المجموعة الأولى (A) غير أنها تميزت عنها بظهور بعض آثار الاختلاط بعناصر زنجية وافدة.

وازدهرت في كرمة، أول مملكة سودانية (٢٥٠٠–١٥٠٠ق.م) عند الشلال الثالث وكانت كرمة على صلة وثيقة بالحضارة الفرعونية في مصر ودفن أهل كرمة موتاهم على طريقة محلية تختلف عن الطريقة المصرية في الدفن كما كما كان السكان خليطاً من الجنس الحامي والزنجي.

وبين القرنين السادس عشر والحادي عشر قبل الميلاد تمدد نفوذ الإمبراطورية المصرية فوق رقعة واسعة من الشرق الأدنى والسودان الشمالي الذي ظل لفترة خمسة قرون خاضعاً للسيادة المصرية، وإن لم يحدث تأثير ملموس في التركيبة السكانية غير أن التأثير الحضاري المصري كان عميقاً خاصة في جانب العقائد الدينية بل أن دولة كوش (مروي) بنت نهضتها على قاعدة من الحضارة المصرية الفرعونية.

وفي القرون الأخيرة من عمر مملكة مروي بدأت هجرة النوبيين إلى أرض مروي وتكاثروا فيها حتى أصبحت لهم الغلبة عليها وبعد قرنين من زوال مروي أسسوا ما يعرف بالممالك النوبية.

ومن الشواهد الخطية على تعدد العناصر في مملكة مروي في آخر أيامها نقش ملك أكسوم

عيزانا، الذي غزا مملكة مروي في (٣٣٥م) وأشار إلى تعدد الأجناس فيها وميز بين الكاسو «الكوشيين» والنوبة السود في الجزء الجنوبي من المملكة والنوبة (الحمر) إلى الشمال من نهر تكازي (نهر عطبرة) (٢٨)

وخلاصة القول أن أرض مروي ظلت عبر التاريخ بمثابة البوتقة التي تلتقي وتنصهر فيها الجماعات والثقافات المختلفة. وكان لاستقرار الحكم ودوامه لعشرة قرون متصلة في العهد المروي الأثر الكبير في تأصيل ثقافة متميزة في المنطقة، وإن سادت بعد مروي حضارة النوبيين ثم الحضارة العربية الإسلامية فينبغي على الباحث في جذور الثقافة السودانية الرجوع لفترة سيادة مروي التي ترسخت فيها الكثير من مكونات الشخصية السودانية المعاصرة.

نهضة الكوشيين (المرويين):

خضع السودان الشمالي لحكم فراعنة الامبراطورية المصرية لخمسة قرون متصلة (١٥٨٠- ١٠٨٠ ق.م) وكان الفرعون تحتمس الثاني قد أرسى قواعد الحكم المصري داخل السودان حتى الشلال الرابع، واسندت إدارة البلاد لحاكم يعينه الفرعون يتم اختياره من النبلاء، وحمل أولئك الحكام ألقاباً عظيمة ومختلفة منها لقب(الأمير- ثقة الملك- صاحب الجاه في الأقاليم الجنوبية- نائب الملك- قائد رماة الأقواس- أو ابن الملك في كوش). وكان هذا الحاكم، ولأهمية منصبه، يخضع مباشرة لفرعون مصر، وإن كنا لا ندري بالتدقيق تمدد النفوذ المصري جنوباً في السودان الشمالي، غير أنه من المؤكد أن المنطقة حتى الشلال الرابع كانت خاضعة تماماً لحكمهم المباشر، وأن منطقة جبل البركل (كريمة الحالية) كانت من أهم مراكز الوجود المصري في السودان الشمالي.

ونتيجة للوجود المصري الدائم في بلاد السودان وعلى مدى تلك القرون، تأثر السودانيون وقتها بالحضارة الفرعونية بل تمصروا تماماً، خاصة في معتقداتهم الدينية حيث عبدوا آلهة مصر ومجدوا «آمون رع» كبير آلهة الامبراطورية المصرية.

** عرف هذا الملك بالاسم «بعانخي» وقد تأكد أن علامة الحياة «غنخ» لم تكن جزءً من الاسم، وان اسمه الحقيقي كان «بيي» أو «بيا» ولكنا فضلنا استعمال الاسم الشائع له، ونلفت نظر القارئ الكريم أن كل الاقتباسات تحت هذا العنوان من «لوحة نصر بعانخي»التي أشرنا إلى مصدرها.*

وحينما أصاب الوهن الامبراطورية المصرية وورث النفوذ السياسي فيها كهنة آمون ثم الجنود المرتزقة من الليبيين ترك السودان الشمالي لأهله ومرّ قرنان من الزمان لا نعرف فيهما الكثير عما كان يجري فيه، ولكن آثار مقبرة الكرو (٢٩) الملكية، التي دفن فيها بعانخي، بعد ستة من أسلافه العظام، تنبئ بأن سلطة محلية منظمة ورثت النفوذ المصري في السودان وظلت تنمو بعيداً عن أعين العالم الخارجي وأن أفرادها كانوا شديدي التدين على عقيدة آمون.

بعانخي يغزو مصر*

صورة رقم ٢ لوحة نصر بعانخي

وإن كنا لا ندري مدى النفوذ الذي حققه كاشتا على الأرض في صعيد مصر ووسطها بجانب النفوذ الديني غير أن ردود فعل خليفته بعانخي (٧٥١-٧١٦ ق.م) لما حدث هناك في السنة الحادية والعشرين من حكمه يحمل إشارات قوية على أن كاشتا سبق أن حقق سيطرة فعلية على مصر الوسطى وكان على بعانخي المحافظة عليها، ومهما كان من أمر ذلك فإن نفوذ بعانخي في السنة الحادية والعشرين من حكمه كان يمتد حتى أهناسه جنوب الفيوم، أما بقية مصر السفلى والدلتا فقد كانت تحكم من قبل الليبيين وبعض الأمراء الوطنيين وأهم هؤلاء كان تفنخت أمير إمارة غرب الدلتا، وكان هذا الوضع ساكناً ومستقراً حتى تلك السنة من حكم بعانخي، أما تطورات ما بعد ذلك وما نجم عنها فنجدها مسجلة بتفاصيل وافية فيما يعرف بـ« لوحة نصر بعانخي » « ٣٠ ».

واللوحة المعنية أودعها بعانخي في منطقة جبل البركل ونقلت في القرن الماضي إلى متحف القاهرة الدولي، وكتبت اللوحة باللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية ».

وفي الجزء العلوي من اللوحة نقش قرص الشمس يكتنفه صلان وأسفل ذلك يشاهد الإله آمون رب نباتا جالساً وخلفه تقف الإلهة موت وأمامها بعانخي « ابن رع ».

وصورت خلف بعانخي زوجته وحفل بقية المشهد بصور ملوك وأمراء بينهم أوسركون في وضع الأسرى أو أنهم يقبلون الأرض أمام بعانخي دليلاً على الإذعان لسلطانه. (صورة رقم ٢)

وأسفل هذا المنظر المعبر نقش النص التاريخي الذي حفظته لوحة بعانخي وجاء فيه :

إن أخباراً وصلت جلالته تفيد بأن الأمير تفنخت حاكم بلدة نتر في غرب الدلتا خرج من إمارته على رأس جيش عرمرم، وبعد أن استولى على كل الأرض غربي الدلتا زحف جنوباً موسعاً سلطانه حتى وصل « أهنلسه » منطقة نفوذ بعانخي وحاصرها تماماً، وكان رد فعل بعانخي الأولي استخفافاً بتحركات تفنخت لثقته في ردعه، وفي هذا يقول النص « وقد أصغى جلالته إلى الرسول بقلب كبير وكان ضاحكاً وقلبه منشرحاً »، ولكن حلفاء بعانخي في مصر وقواده هناك لم يصبروا على تحركات تفنخت وتنامي قوته فطالبوا بعانخي بنصرتهم وتوجيههم كما جاء في رسالتهم إليه، وأبلغوه أن أمير بلدة الأشمونيين، الذي كان حليفاً له، خرج عن عهده الذي قطعه بالولاء له، وانضم لقوات المارق تفنخت، عندها غضب بعانخي وأمر قواته وحلفاءه في مصر بالتحرك السريع وردع المارقين.

ولم يكتف بعانخي بذلك بل زاد بإرسال جيش من « السودان » زوده بالنصائح وحض أفراده على القتال بشجاعة وأن يكثروا من الدعاء للآلهة وأن يعلموا، كما زعم « أن آمون هو الذي أرسلنا وأنه ناصرنا ».

حقق هذا الجيش انتصارات باهرة وسريعة وفك حصار « أهناسه » ولكن قادة المارقين تمكنوا من الفرار، ووصلت أخبار ذلك لبعانخي ولكنه لم يبتهج لها كثيراً لأن الانتصارات لم تجتث قادة التمرد، نملوت وتفنخت اللذين فرا وتحصنا في مدنهم فقرر القيام بذلك بنفسه قائلاً : « أقسم بحب آمون لي وبتفضيل آمون إياي أني سأبحر بنفسي إلى الشمال وسأضرب تفنخت حتى يتجنب القتال إلى الأبد ».

سار بعانخي على رأس جيشه ووصل طيبة، مدينة آمون المقدسة وبعد أن احتفل بالإله وعيده أبحر شمالاً قاصداً مدينة الاشمونيين حيث يتحصن نملوت حليف تفنخت، وحاصر المدينة حصاراً شديداً حتى هلك كثير من أهلها، وعرض نملوت التسليم لبعانخي شريطة الإبقاء على حياته، ولكن بعانخي تمنع لأنه يريد قتله لخيانته وتبعيته للأمير تفنخت ورفض الرسل والهدايا التي أرسلها لجلالته.

ولعله كان للمصريين معرفة بمدى الاجلال الذي يكنه أهل السودان لنسائهم وبصفة خاصة للنساء الملكيات وأخالني أسمع مستشاري نملوت، وبعد أن أرهقت مدينتهم بالحصار يهمسون في أذنه بأن أرسل كريماتك وأمهن سفيرات سلام وتسليم، فقد عرف عن هؤلاء القوم

معزة نسائهم وأنهم لا يردون لهن طلباً، والطريف أن نساء نملوت لم يتوسطن لدى بعانخي مباشرة وإنما لدى زوجاته وأخواته وبناته. فجاء عفو بعانخي استجابة لتلك الوساطة رغم حنقه الشديد على نملوت ورفضه الوساطات الأخرى السابقة.

دخل بعانخي الأشمونين ظافراً وقدم الهدايا لآلهة المعابد كما ساءه أن وجد خيول نملوت جائعة وهزيلة فأبدى غضبه لأنه كان فارساً محباً للخيل ومدركاً لقيمتها.

بعد الأشمونين توجه بعانخي شمالاً حيث كرم أمير «أهناسه» الذي صمد أمام حصار تفنخت ثم تقدم شمالاً نحو الدلتا وكان نداؤه لكل مدينة في طريقه «أفتحوا أبوابكم تسلموا أغلقوها تموتوا فجلالتي سوف لن يمر بمدينة مغلقة»

وأخيراً وصل بعانخي إلى مدينة منف حيث يتحصن عدوه الأول تفنخت، وبدا أن منف كانت تمثل تحدياً حقيقياً وكبيراً لقوات بعانخي إذ كانت المدينة محصنة تحصيناً جيداً كما أن حاكمها أفلح في تخزين المؤن الضرورية والكافية للجند والسكان مما يجعلهم قادرين على الصمود طويلاً وراء الأسوار.

وعند أسوار تلك المدينة عقد بعانخي مجلس حربه الذي أشار بألا سبيل لمهاجمة المدينة لقوة حصونها وكثافة الجيش في داخلها، ولكن بعانخي لم يأخذ برأي مستشاريه وإنما قرر مباغتة المدينة ومن أضعف نقطة في تحصيناتها، وكانت تلك النقطة في ناحية النيل حيث ميناء المدينة، ونجح الهجوم المباغت بعد إستيلاء بعانخي على الميناء والسفن الراسية فيه وجعل جنده من أشرعة السفن أبراجاً رفعتهم إلى أسوار المدينة التي استسلمت سريعاً بعد أن تمكن المهاجمون من اقتحامها عبر تلك الوسيلة.

ودخل بعانخي منف وكرم معابدها واعترف به كهنتها ابناً للإله واعتبروه واحداً من سلالة فراعنة مصر «أبناء الآلهة» حسب معتقداتهم السائدة، كما جاءه أوسركون الثالث وهو من ملوك الأسرة الثالثة والعشرين واعترف له بالسيادة على وادي النيل كما استسلم كل الأمراء المتمردين غير أن تفنخت فر وتحصن في مستنقعات الدلتا ولكن بعانخي عفا عنه بعد أن أدى قسم الولاء والطاعة له .

وهكذا تسنى لبعانخي فتح مصر وأصبح ملكاً يحمل ألقاب فراعنة مصر العظام ورجع لبلاده محملاً بخيرات مصر، وجاء في وصف رحلة الآوبة إلى الأراضي السودانية:

***** *أما تهارقو فقد نقل عاصمته إلى تاتيس في شمال الدلتا ليكون قريباً من إدارة الصراع مع الآشوريين.*

«حملت السفن بالفضة والذهب والنحاس والملابس وبكل منتوجات أرض الشمال وبكل بضائع سوريا وبكل الأخشاب ذات الروائح الطيبة التي جاءت من أرض الإله ثم أبحر جلالته إلى الجنوب وقلبه مبتهج، كانت شواطئ الشرق والغرب على الجانبين تحتفل وتبتهج بحضور جلالته وتغني بنشوة مرتلة «قوي قوي أيها الملك بعانخي، قد أتيت وفرضت السيطرة على أرض الشمال ما أسعد قلب الأم التي ولدتك والرجل الذي أنجبك».

ولكن بالرغم من النصر الذي حققه بعانخي في مصر فإنه لم يقم قاعدة راسخة للحكم فيها، والراجح أنه اكتفى بفروض الولاء والطاعة التي أبداها أمراء تلك البلاد، وشجع الفراغ بغياب سلطة مركزية في مصر، اندلاع الثورات من جديد في مصر وأعلن تفنخت نفسه فرعوناً في الدلتا في عام ٧٢٠ ق.م، بعيد رجوع بعانخي للسودان، ولكنه مات في نفس العام وخلفه ابنه بنكريف كما فرض اوسركون الليبي نفوذه على مصر الوسطى حتى طيبة وبدا وكأن جهود بعانخي ذهبت سدآً كما أن الموت لم يمهله طويلاً ليعاود الغزو إذ مات في عام ٧١٦ ق.م.

خلف شبكو (٧١٦-٧٠١ ق.م) أخاه بعانخي على العرش واستعاد سلطان بلاده في مصر وأمنه هذه المرة بنقل عاصمة ملكه المتوسع إلى طيبة في جنوب مصر، حيث أقام حكماً مركزياً أسوة بفراعنة مصر العظام، وتبعه في ذلك خلفاؤه شبتكو (٧٠١-٦٩٠ ق.م) وتهارقو (٦٩٠-٦٦٤ ق.م) وعرفوا في التاريخ المصري بحكام الأسرة الخامسة والعشرين.

الصراع مع الآشوريين

في ذات الوقت الذي أسس فيه شبكو حكم الكوشيين في مصر وبدأ يتطلع لوراثة سلطان الامبراطورية المصرية السابق في آسيا، خاصة في غربي البحر الأبيض المتوسط، ظهر في شمال العراق الآشوريون كقوة منافسة لهم في السيادة على الشرق الأدنى القديم.

وكانت آشور دولة حربية شديدة المراس، وبعد أن فرضت سيطرتها على العراق وسوريا ولبنان زحفت نحو على مملكتي اليهود اسرائيل وجودا وباتت تهدد مصر أيضاً، استشعر الكوشيون في مصر الخطر القادم وبدأ النزاع الآشوري - الكوشي*، وبرز فيه تهارقو قبل أن يصبح ملكاً، قائداً لقوات الكوشيين المصادمة للآشوريين، واستمر الصراع في عهد الملوك الثلاثة شبكو وشبتكو وتهارقو إلى أن هُزِم الكوشيون واجتاحت آشور مصر كلها وتراجع الكوشيون إلى بلادهم.

ويبدو أن الملك تانوتا مني خليفة تهارقو (٦٦٤-٦٥٢ ق.م) حاول استعادة مصر ولا ندري على وجه التحديد مدى ما حققه من نجاح غير أنه لم يصمد طويلاً أمام آشورنيبال ملك الآشوريين. وبحلول عام ٦٥٣ ق.م، أي بعد ما يقارب التسعين عاماً من النفوذ والسيطرة الفعلية تراجع الكوشيون إلى بلادهم ولم يعودوا يتطلعون إلى الزعامة هناك واكتفوا بتأسيس حكم قوي في بلادهم مركزه عاصمتهم مروي ودام ذلك الحكم لأكثر من ألف عام.

المرويون وعلاقاتهم الخارجية

نسبة لموقعهم في الطرف الجنوبي لمثلث الحضارات القديمة، وبحكم مجاورتهم لمصر لم يبق المرويون في عزلة تامة عما كان يجري حولهم ولم يسلموا من غزوات وأطماع المصريين والفرس والرومان والبطالمة وجيرانهم من جهة الشرق في مملكة أكسوم.

وفي عام ٥٩١ ق.م، غزا فرعون مصر بسماتيك الثاني شمال السودان وأحدث جنوده دماراً كبيراً في معابد جبل البركل وبخاصة تماثيل الملوك في معبد آمون الكبير، وإن كنا لا ندري أسباب هذه الحملة، التي لم تكن تستهدف احتلال البلاد، فالراجح أنها كانت لردع المرويين، الذين ظلوا يحملون ألقاب فراعنة مصر حتى لا يفكروا مرة أخرى في التقدم شمالاً لاحتلال مصر.

المرويون والفرس

وتعرضت مصر ذاتها للغزو والاحتلال الفارسي عام ٥٢٥ ق.م، وأصبحت إحدى ولايات الإمبراطورية الفارسية التي أسسها ملكهم دارا، ويبدو أن أطماع الفرس لم تقف عند حدود مصر وأنهم تطلعوا جنوباً نحو مروي، وأرسل ملكهم قمبيز، كما جاء في رواية هردوت « ٣١ »، رسلاً إلى ملك مروي حاملين له بعض الهدايا.

أدرك ملك المرويين نوايا الفرس وأطماعهم في بلاده وأن الرسل لم يكونوا سوى جواسيس جاءوا يستكشفون الطريق إلى مروي. استقبلهم ملك مروي وحدثهم عن عراقة وصلابة قومه وكيف أن الأفراد من رعاياه يعمرون لمائة وعشرين عاماً لجودة غذائهم المكون من اللبن واللحم، وزاد على ذلك بأن سلم رسل قمبيز قوساً قوياً هدية منه لملكهم مع تحديه له إن كان يستطيع

الرمي به مع تأكيده لهم بأنه لن يستطيع حتى حمله، والهدية لا تخلو من تهديد مبطن بالقوة التي سيجابه بها ملك الفرس إن حدثته نفسه بغزو مروي.

وهدية القوس لا تخلو أيضاً من دلالة أخرى هي معرفة المرويين بقوة الفرس الضاربة من حملة الأقواس الذين كانوا يقفون خلف مشاتهم ويهيئون لهم برشق الأعداء بالسهام الكثيفة قبل الإلتحام ويحققون بذلك انتصاراتهم الباهرة، ونعلم أيضاً أن أهل السودان القدماء اشتهروا بإجادة الرمي بالسهام منذ القدم وحتى اصطدامهم بالمسلمين في حدود مصر الجنوبية في عام ٦٤٢م وأن المسلمين كنوهم بـ« رماة الحدق » لدقة رميهم بالسهام. وإن أرض الأقواس « تاسيتي » كان من الأسماء التي عرف بها السودان القديم بجانب الاسم « كوش ».

ويختم هردوت أخباره عن الفرس والمرويين بأن قمبيز شرع بعد عودة رسله في غزو بلاد المرويين ولكنه عدّل عن ذلك بسبب وعورة المسالك الشمالية.

المرويون والبطالمة

فتح الاسكندر الأكبر مصر في عام (٣٣٢ق.م) ضمن فتوحاته الواسعة في الشرق الادنى وهناك روايات ضعيفة عن حملة أرسلها إلى مروي ولكن يبدو مؤكداً أن حملته لم تتعد الفناتين « فيله » في النوبة السفلى لتأمين حدود مصر الجنوبية.

وحينما ورث البطالمة حكم مصر تفاوتت علاقاتهم مع المرويين بين الحرب والعلاقات السلمية الطيبة. وتقول بعض المصادر الإغريقية إن بطليموس الثاني « ٢٨٥– ٢٤٦ ق.م » قاد جيشا وغزا أرض الإثيوبيين « المرويين » وان الرحلة من اسوان إلى مروي أخذت ستين يوماً. وأن هذه الحملة فتحت الطريق نحو التجارة مع مروي وامها العلماء والسواح وصائدو الأفيال « » كما وجد نقش إغريقي آخر يرجع لعهد بطليموس الثالث « ٢٤٦–٢٢١ ق.م » يقول كاتبه أنه خرج إلى الحرب مع الده مستخدماً أفيالاً اصطادوها من بلاد المرويين.

أما بطليموس الرابع « ٢٢١–٢٠٥ق.م » فقد اهتم بالذهب في وادي العلاقي وبنى معبداً في دكة قبالة مناجم الذهب في وادي العلاقي. ونمت دكة لتصبح مركزاً لتبادل التجارة بين المرويين ومصر البطلمية. وقد اثير جدل بين العلماء حول وجود اسمي الملكين بطليموس وارقاميس في دكة وهو أمر غير مألوف. فظن البعض أن الملك المروي استولى على المعبد فيما بعد

كما رجح البعض الآخر أن الملكيين كانا على وفاق تام حول هذه المنطقة واعتبراها منطقة حرة لتبادل المنافع وإقامة الشعائر الدينية.

ولما كان بطليموس الرابع ملكاً ضعيفاً فقد شبت في عهده ثورة في أسوان ضد البطالمة في مصر في ٢٠٧ ق.م ويقال أن عناصر مروية اشتركت فيها واستمرت الثورة عشرين عاماً حتى أخمدها بطليموس الخامس في عام ١٨٥ ق.م وأن دكة ظلت تحت سيطرة المرويين طيلة تلك الفترة.

المرويون والرومان:

وكان الرومان قد ضموا مصر لامبراطوريتهم المتوسعة في منتصف القرن الأول قبل الميلاد بعد أن انتزعوها من البطالمة «الإغريق». ولأسباب لا نعرفها، وحسبما جاء في رواية سترابو «٣٢» هاجم المرويون صعيد مصر واستولوا على أسوان واستعبدوا الناس وأخذوا الغنائم وأنزلوا تمثال قيصر وأخذوه لبلادهم تم ذلك أثناء ولاية القائدة الروماني بترونيس (٢٥-٢١ ق.م) الذي جرد عليهم حملة قوية هزمتهم بيسر لتفوق جند الرومان الكبير في التنظيم العسكري والتسليح، وحينما طلب المرويون العفو طالبهم بترونيس بتوضيح أسباب اعتدائهم على صعيد مصر ورد الغنائم التي أخذوها وأمهلهم ثلاثة أيام، ولما لم يستجيبوا للموعد المضروب هاجمهم ثانية وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسقط مدنهم وسار حتى نبتة وهاجمها وأحدث فيها دماراً شديداً ومن ثم عاد إلى مصر مصحوباً بأعداد كبيرة من الأسرى.

ترك بترونيس حامية قوية في أبريم ولكن ملكة المرويين زحفت على رأس جيش كبير وقصدت تلك الحامية غير أن بترونيس علم بذلك وسبقها إلى أبريم وأعد دفاعه استعداداً لملاقات الملكة الكنداكة التي وصفها استرابو بـ«المرأة العوراء المسترجلة» One Eyed Masculine Woman.

ويبدو أن ملكة المرويين قدرت قوتها إزاء التفوق الروماني وعدلت عن مهاجمة الحامية وأرسلت رسلها طالبة الصلح مع بترونيس، ولكن الأخير وجه رسلها لطلب الصلح من قيصر الرومان.

ولما قالوا أنهم لا يعرفون قيصر أو مكانه أعطاهم من يدلهم إلى الطريق حيث كان قيصر

معسكراً في ساموس وهو يعد العدة لغزو سوريا، وكان قيصر كريماً مع رسل الكنداكة حيث أحسن وفادتهم وأعطاهم كل ما طلبوه وأسقط عنهم الجزية التي سبق أن فرضت عليهم، وهي معاملة لم تحظ بها أياً من البلاد التي وطأتها أقدام الرومان.

وكان للسلام الروماني مع المرويين انعكاسات بليغة على ازدهار الجزء الشمالي من المملكة المروية إذ نشأت العديد من المدن هناك وازدهرت التجارة وتسربت إلى البلاد الكثير من المؤثرات الثقافية، وبعد ذلك لم يعكر صفاء العلاقات بين المرويين ومصر الرومانية سوى أخبار حملة أو حملتين قام بها الرومان في حوالي عام ٦١م في عهد الامبراطور نيرون وإن كنا لا ندري أسباب ونتائج تلك الحملات غير أنها تؤكد أنه كان للرومان مصالح في البلاد أرادوا تأمينها.

انحلال ونهاية مملكة مروي:

تشير كثير من المصادر إلى أن مروي سقطت في عام ٣٥٠ م على يد عيزانا ملك أكسوم، الجارة الشرقية لمملكة مروي، وكان عيزانا الذي حكم أكسوم في الفترة بين ٣٢٥ – ٣٧٥م، قد خلف نقشاً طويلاً حكى فيه قصة غزوه لبلاد السودان « ٣٣ » وبرر لذلك بعاملين رئيسيين هما:

١– أنه أراد معاقبة « النوبة » الذين تمردوا عليه وتعدوا على أهالي مانقورتو والحسا والباريا ولأنهم أخطأوا حينما ظنوا أنه لن يستطيع عبور نهر تكازا والوصول إليهم.

٢– إنه جاء لوقف المذابح البشعة التي أحدثها السكان السود في السكان الحمر (البيض) ونقضهم العهود أكثر من مرة بوقف تلك التعديات بل زادوا بإساءة معاملة رسله الذين بعثهم للتحري فيما كان يجري من شغب وفوضى.

والقارئ لنقش عيزانا يلاحظ أنه لم يذكر مروي وأنه لم يتحدث عن مواجهة بين جيشه الغازي وجيش للدولة المروية كما هو متوقع. إن عيزانا تحدث عن انتصارات ساحقة على قبائل ومدن متفرقة ولعلنا نجد في ذكره لمهاجمة المدن الحجرية التي بناها الكاسيو (الكوشيين) إشارة إلى المرويين وان لم يذكرهم بالاسم.

وكل ذلك يقود إلى استنتاج واضح فحواه أنه لم يعد لمملكة مروي وجود أو هيمنة على البلاد حينما غزا عيزانا بلاد السودان في منتصف القرن الرابع الميلادي، والراجح أن الدولة المروية كانت قد انحلت قبل الغزوة وأن البلاد كانت خاضعة له أو لأحد أسلافه قبل عام ٣٥٠ التاريخ

المفترض لسقوط مروي.

وما يؤكد ويؤيد ما ذهبنا إليه حالة الفقر البادية والتدني الظاهر الذي عكسته آثار المدافن الملكية في مروي ابتداءً من القرن الثاني الميلادي وهجرة النوبيين إلى أقاليم النيل وتملكهم لأرض المرويين بين مروي وأسوان وغياب سلطة الدولة المروية في أطرافها الشمالية مما اضطر الرومان لاستجلاب وتوطين قبائل النوباديين Nobade هناك ليكونوا منطقة عازلة بينهم وبين البجة الذين باتوا يهددون صعيد مصر بغاراتهم المتكررة .

تلك كانت مسيرة الدولة المروية الكوشية التي دامت لأكثر من ألف عام متصلة حتى أصابها من الوهن ما يصيب الأمم، وخلال مسيرتها الطويلة شاركت مروي في بناء الحضارة الإنسانية وتقدمها وبخاصة في بلاد السودان الواسعة الأرجاء وفي أفريقيا كما سنرى.

هوامش الفصل الأول

١ / هردوت، Herodotus, 3,25

٢ / لوحة آمون نوتي يركي، Inser.IX

٣ / دايدورس الصقلي .Diodorus,1, section 32 ff

٤ / استرابو .Strabo, 17, 53,54

5/ Zaki 1975,322-24

٦ / المصدر السابق، ص ٣٠٧

٧ / قارستانج وآخرون، Garstang 1911

٨ / شيني، P.L.Shinnie, 1967, p.77

٩ / نفس المصدر السابق.

10/ Zaki 1975,233-31

١١ / راجع الفصل الثالث.

١٢ / رايزنر Reisner, SNR 2, P-237- 64

١٣ / حاكم Hakem, ADAB, 2,3,1975, 120-31

١٤ / قريفث Griffith, LAAA,10,73-171

١٥ / لوحة الملك نستاسين Nast.8

١٦ / راجع الفصل.

١٧ / انظر الهوامش ٧،٨ اعلاه.

١٨ / شيني Shinnie, 1967

١٩ / لوحة الأمير اكنداد.. Grifith, JEA 4, P.21-27

٢٠ / انظر الهامش «٣٧»

٢١ / عبد القادر محمود –١٩٨٦م

٢٢ / جاد الله Kush xi

٢٣ / الزاكي – ١٩٨٣م – ص ٥

٢٤ / Reisner

٢٥ / Hakem -1975

٢٦ / Shinnie 1970

٢٧ / Hakem -1975

٢٨ / Inscr.6m24m Elect. 20, Nast. 8

٢٩ / ابراهيم زرقانة، ومحمد متولي، ١٩٧٧م – ص ١٣٤ .

٣٠ / آركل Arkell 1949.

٣١ / آركل Arkell 1949.

٣٢ / آركل Arkell 1961, p.25

٣٣ / كروان Kirwan, 1960

٣٤ / رايزنر Reisner, SNR.2

٣٥ / لوحة « نصر بعانخي » المنشورة في ١٩١٢ Budge مترجمة باللغة الانجليزية أو الرجوع لكتاب سليم حسن، مصر الفرعونية الجزء الحادي عشر ١٩٥٦م.

٣٦ / هردوت . . انظرالهامش « ١ »اعلاه .

٣٧ / سترابو Strabo 17,53, 54

٣٨ / نقش عيزانا Kirwan,Kush,VII, P.163 وفي بازل ديفدسون .
أفريقيا تحت أضواء جديدة « ترجمة جمال محمد أحمد » ص ٢٢–٢٣ .

الفصل الثاني

نظام الحكم والإدارة في المملكة

الفصل الثاني

نظام الحكم والإدارة في المملكة

وإن لم نعد ملمين تماماً بتفاصيل الكيفية التي كانت تدار بها أمور الحكم في مروي غير أن الاستقرار والاستمرار اللذين حظيت بهما المملكة طيلة قرون عديدة تؤكد أن المرويين ابتدعوا نظاماً مناسباً للحكم ضمن لهم ذلك الاستقرار والاستمرار. ومن ذلك نعلم أنه قام على رأس الحكم عندهم ملك يختار ويتوج وينحى حسب تقاليد مرعية. وكان هذا الملك هو الحاكم وصاحب السلطة العليا في البلاد ومصدر استقرارها.

ولما كان من المستحيل على رجل واحد تسيير كل أمور المملكة بمفرده فلابد أن أولئك الملوك اتخذوا لهم مستشارين ووزراء وكتبة وخزنة وقواد وإداريين إقليميين يستعينون بهم في تدبير شؤون البلاد. وهناك إشارات متفرقة في لوحات تتويج الملوك المكتوبة بالهيروغليفية المصرية وفي كتابات المرويين بلغتهم الخاصة توحي بأن البلاد كانت مقسمة إلى مقاطعات تخضع لحكام إقليميين يقومون بإدارتها نيابة عن الملك.

الملكية: المقدسة:

تربع على قمة السلطة في مروي ملوك حكموا بلادهم حسب تقاليد مرعية وانتظم حكم أولئك الملوك في البلاد أحد عشر قرناً متصلة «٧٥٠ ق.م-٣٥٠ م»، ويرجح أن حكمهم ظل متوارثاً لدى أفراد انحدروا من أسرة المؤسسين الأوائل، والسر وراء ذلك الاستقرار الخضوع القدسية التي حظي بها الحكام.. وهي قدسية مستمدة من العقيدة الدينية المبنية على الأسطورة التي تقول إن آمون -معبودهم الأول ومعطي الملكية- استجاب لدعوة الزعيم «الارا» والد كاشتا وجد بعانخي، لجعل الملك في أبناء أخته أبد الآبدين وأن يجعلهم مشهورين وموفقين «١».

وإن كان الملك تهارقو أول من أشار إلى هذا المعتقد فقد تكرر ذات المعنى بعد قرنين من زمن الارا حينما عمد الملك اسبلتا (٥٩٣–٥٦٨ ق.م) لذكر نسل أمهاته لسبعة أجيال متعاقبة تنتهي بأخت الزعيم الارا وذلك لتأكيد أحقيته في العرش أمام منافسيه (٢).

والدارس لمناظر اللوحات الملكية « صورة رقم » * يلاحظ أن صورة الأم الملكية أخذت موقعها دائماً خلف صورة الملك المتوج.. والحرص على تصوير أولئك السيدات في مشاهد لوحات التتويج قصد به تأكيد شرعية الاختيار المستمدة من مباركة نسل حفيدات أخوات الزعيم الارا كما قصد به الرمز لحقيقة اشتراكهن الفعلي في طقوس التتويج الذي أخبرت عنه صراحة لوحات الملوك تهارقو (٦٩٠–٦٦٤ق.م) وانلملني (٦٢٣–٥٩٣ق.م) وآمون نوتي يركي (٤٣١–٤٠٥ ق.م).

ولم يقتصر ظهور صور النساء الملكيات خلف الملوك على مشاهد التتويج وحدها بل ظهرت صورهن في معية صور الملوك في مشاهد نقشت على جدران المعابد وفي أقدس أجزائها وأكثرها خصوصية. وفي نصوص اللوحات الملكية ألحقت ألقاب رفيعة بأولئك الأميرات الملكيات، مثل لقب « سيدة مصر »، « سيدة كوش »، و« سيدة تاسيتي »، والرأي أن هذه الألقاب لم تكن سوى ألقاب تشريفية مثل « لقب سيدة أمريكا الأولى » الذي يطلق على زوجة رئيس تلك الدولة.

ولم تخل لوحة من لوحات تتويج ملوك مروي من نصوص تؤكد شرعية تولي كل واحد منهم العرش وإسناد ذلك لإرادة آمون، ولم يكن من قبيل الصدفة أن تزخر لوحتا الملك بعانخي، بصفته أول ملك مروي عظيم، بالنصوص المؤيدة لصعوده على عرش مصر وكوش « مروي ». وأصدق الأقوال تعبيراً عن ذلك ما جاء على لسان بعانخي في قوله: « الآلهة (قد) ينصبون ملكاً. والناس (قد) ينصبون ملكاً، ولكن آمون نصبني » « ٣ ».

وظل صدى ما حدده بعانخي عن حقيقة العلاقة بين آمون والملكية عند المرويين يتردد في لوحات جميع خلفائه، ملوك مروي.

وفي الآثار رمزوا لدور آمون في إعطاء الملكية بالمشاهد المصورة على لوحات التتويج، وعلى جدران وأعمدة المعابد، وغالباً ما ضم المنظر المعبر عن ذلك صورة للملك واقفاً أمام آمون وهو يتقبل الصولجان، رمز السلطة، الذي يمسك به الإله بيده الممدودة أمامه، وحينما صعد نجم الإله أبيد ماك في الفترة المروية الثانية أصبح هذا الإله يقوم بذات الدور الذي كان منوطاً بآمون وحده. (الصورة رقم)

الاختيار والتتويج:

كان إعلان الاختيار المبدئي للملك الجديد يتم في مروي العاصمة الملكية بعد خلو العرش بموت سلفه، حسب الأعراف المرعية، وما كان الملك المختار يتوج في مروي وإنما في نبتة عند معبد آمون الكبير « B.500 » في نبتة أمام جبل البركل.

وكان هذا الأمر يقتضي مسيرة طويلة بين المكانين، وبقيت ثلاث لوحات« تتويج ملكية » هي لوحات الملوك آمون نوتي يركي (٤٣١–٤٠٥ق.م) وحرسيوتف (٤٠٤–٣٦٩ق.م) ونستاسين (٣٣٥–٣١٠ق.م) تحكي تفاصيل مسيرة تتويج أولئك الملوك، وتكتمل المسيرة عادة بزيارة العديد من المعابد الأخرى في محور المملكة الشمالي، بجانب المعبد الرئيسي في البركل، وبعدها يعود الملك الجديد إلى مقر ملكه في مروي وقد اكتمل تتويجه وباركته آلهة المملكة واكتملت قدسيته بالنسبة للرعية كما سنتابع في الصفحات التالية.

المسيرة الملكية حتميتها ودوافعها:

وما يؤكد حتمية المسيرة الملكية للمعابد الشمالية استعجال الملوك للقيام بها رغم ما يعترض طريقهم من مخاطر أحياناً، ولم يثن الملك «آمون نوتي يركي» من العزم على زيارة «آمون نبتة» الأعداء الذين كانوا يحيطون بعاصمته بأعداد تفوق حبات الرمل كما قال. كما لم يثن هذا الملك عن مواصلة رحلته من نبتة إلى جماتون (الكوة) الخطر المتمثل في بدو الصحراء الغربية الذين هاجموا ركبه عند « كرتن » التي تقع في منتصف الطريقة بين نبتة والكوة. (٤) ومن سيرة الحروب التي خاضها الملك « حرسيوتف » ومن الغارات التي شنها نستاسين نعلم أن هذين الملكين قاما بالطواف التقليدي بالمعابد الشمالية بالرغم من الخطر المحدق بطريق الرحلة الملكية الطويل.

طريق المسيرة الملكية:

إن التعرف على الطريق القديم الذي كان يسير عليه الركب الملكي بين مروي ونبتة لم يعد سهلاً لأن الملوك المرويين لم يتعرضوا لوصفه أو لتحديد الوسيلة أو الوسائل التي استغلوها في السير عليه، وكل ما ورد عن طريق المسيرة في كتاباتهم يتمثل في إشارات عارضة للمدى الزمني

الذي استغرقته الرحلة، أو ذكر أماكن لم تعد معروفة لدينا.

لقد ورد في لوحة الملك تانوتامني أنه قطع المسافة بين المكان الذي كان فيه« * » ونبتة في ثلاثة ايام، وأخذت رحلة الملك آمون نوتي يركي بين مروي ونبتة تسعة أيام، واستغرقت رحلة الملك نستاسين بين الموقعين خمسة أيام، كما ورد في لوحة نفس الملك أنه توقف عند مدينة «استرسات» على مسيرة يوم واحد من مروي حيث قضى ليلته الأولى، وذكر أيضاً أنه وصل مدينة «تاقات» (نوري أو صنم أبودوم؟) التي تقع على ضفة النهر اليسرى المقابلة لجبل البركل.

ومن هذه المدلولات النصية الشحيحة التي وردت في المخطوطات الملكية ومما تبقى من آثار مروية قليلة في صحراء بيوضة بالإضافة لإلمامنا بالدروب المطروقة حتى الآن في السفر بين المدن المعاصرة القائمة في إقليمي مروي ونبتة القديمين نطرح فيما يلي تصورنا للطرق المختلفة المرجح أن الركب الملكي كان يسلكها للوصول إلى معبد آمون الكبير في الضفة الأخرى:

أولاً: طريق النيل:

وهو المجري النيلي الذي يوصل بين مروي ونبتة، ونستبعد أن يكون هذا الطريق واحداً من الطرق التي سلكها الركب الملكي وذلك لأنه أطول الطرق بين المدينتين، كما أن الشلالين الخامس والرابع يعترضان هذا الطريق ويتعذر سير المراكب عبرهما خاصة في فصل الصيف، وأن الملك نستاسين في نهاية رحلته عبر النهر لكي يصل إلى نبتة.

ثانيا: طريق النيل الذي يصل بين مروي ومدينة الدامر الحديثة أو بربر:

والذي يفارق سالكه النهر عند أحد هاتين المدينتين ويضرب غرباً في صحراء بيوضة حتى يصل إلي الضفة اليسرى من نهر النيل المقابلة لجبل البركل وهذا الطريق كان ومايزال مطروقاً وأن حملة البريد في عهد الحكم الثنائي في السودان كانوا يسلكون هذا الطريق ويقطعونه بالجمال في يومين ولا بد أنه الطريق الذي سار عليه الملك نستاسين.

ثالثاً: الطريق الثالث:

الطريق الذي يفارق النهر إلى الشمال قليلاً من مروي عند قرية النوبة الفادنية أو عند آبار أبي طليح ويتجه غرباً عبر صحراء بيوضة لينتهي عند نوري، وقد وجدت آثار قلعة يرجع تاريخها للعهد المروي في منتصف هذا الطريق بين نبتة ومروي، ونذكر أن حملة إنقاذ غردون في

***** *لم يكن مؤكداً أنه كان في مروي*



١- (< < <) طريق النيل

٢- (ـــ ـــ ـــ) طريق االصحراء

خريطة رقم ٣

الطرق المحتملة للرحلة الملكية إلى مروي

١٨٨٥م، جاءت عبر صحراء بيوضة (كورتي–المتمة) وهو نفس الطريق الذي توقع قائد طلائع جيش المهدية –محمود ود أحمد– أن يسلكه كتشنر لغزو عاصمة الدولة المهدية في ١٨٩٨م فأخلى المتمة لملاقاته هناك.

وبعد التوقف في نبتة (كريمة) لأداء الشعائر التقليدية، التي سنآتي على تفاصيلها، كان الركب الملكي يشد الرحال شمالاً نحو جماتون (الكوة) ثم بنوبس (أرقو). وفي هذا الجزء من المسيرة نرجح أن الركب اتخذ طريق النهر، وهو الخط الصالح للملاحة الذي تسلكه في وقتنا الحاضر باخرة كريمة – دنقلا. لقد قطع الملك آمون –نوتي– يركي هذا الطريق في سبعة عشرة يوماً ، ولا يعتبر هذا مقياساً لسرعة سيره أو لطول المسافة بين نبتة وجماتون لأن هذا الملك توقف في الطريق ليثبت النظام ويشهد مواكب الاستقبال الجماهيرية بل صد هجوماً معادياً على قصره في كرتن جاء من جانب بدو الصحراء الغربية.

إن ما قام به هذا الملك في الطريق إلى جماتون –وهو توطيد النظام في كل مقاطعة وصل إليها واخراج الآلهة والإلهات فيها– يؤكد أن المسيرة الملكية استهدفت بجانب زيارة المعابد الرئيسية، تعرف الملك على رعاياه بغرض كسب ولائهم وفرض سلطانه الجديد بينهم، خاصة في تلك الأصقاع البعيدة عن مقر ملكه في الجنوب،ولا ندري ما إذا كان كل الملوك الذين ساروا في هذا الطريق قد قاموا بما قام به آمون نوتي يركي، غير أننا نعلم أن واحداً من أسلافه –على الأقل– وهو الملك أنلماني أورد في لوحته ما يفيد بأنه توقف في هذا الطريق مراراً لينظم الإدارة في كل مقاطعة مرّ بها وليقدم الإنعامات للآلهة والأوقاف للكهنة.

ومن جماتون كان الركب الملكي يتوجه نحو «بنوبس» (أرقو)، آخر معاقل الإله آمون الرئيسية الواجب زيارتها والتوقف عندها لينال اعتراف إلهها، ومن ثم يعود لعاصمة ملكه في مروي ملكاً متوجاً ومباركاً. « ٥ »

شعائر وطقوس التتويج أثناء الطواف:

برغم التطابق الظاهري فيما ورد في لوحات تتويج ملوك مروي عما كان يتم أثناء الطواف، فإن بعض هذه اللوحات حوت وصفاً لشعائر وأعمال قام بها أصحابها ولم يعن غيرهم بتسجيلها.. ونعتقد أن جميع الملوك كانوا يراعون تقاليد معروفة ولكن بعضهم كان يسترسل في وصف بعض أفعاله الأخرى ويقل في وصف بعضها الآخر أو يتجاهل تسجيله.

ونورد فيما يلي تصوراً لما كان يتم أثناء تلك المناسبة وهو مستخلص من نصوص جميع لوحات الملوك.

أ–كان الملك المختار يجد استقبالاً شعبياً كبيراً يقوده الكهنة عند مشارف نبتة، ويروي الملك نستاسين أنهم استقبلوه عند ضفة النهر اليسرى المقابلة لجبل البركل، وبعد عبوره للنهر امتطى صهوة حصان ضخم نقله إلى معبد آمون الكبير حيث بدأت مراسم تتويجه.

ب– ويفهم مما ورد في لوحات الملوك اسبلتا وحرسيوتف ونستاسين أن جميع أولئك الملوك تسلموا تيجانهم في حجرة المحراب داخل المعبد الكبير، وأشار اسبلتا إلى أنها تيجان وصولجانات ملوك كوش كما أشار الملك نستاسين إلى أنها تيجان سلفه حرسيوتف، وأغلب الظن أنها كانت تيجان وصولجانات عتيقة محفوظة في داخل هذا المعبد، وكانت تقدم للملك الجديد في تلك المناسبة ثم تعاد للحفظ في مكانها. ولم يرد ذكر لتيجان مماثلة كانت محفوظة في أماكن أخرى.

ج–ويتبع التتويج شعيرة إخراج تمثال الإله في موكب تشهده الرعية ويتجسد في ذلك رضاء الإله وابتهاجه واعترافه بالعاهل الجديد واتحاده معه.

وبعد التتويج والاعتراف الإلهي بالملك الزائر اعتاد كل ملك تقديم القرابين والهدايا وإقامة الولائم تكريماً للإله، وكانت الاحتفالات تدوم لأيام عديدة تقدم فيها الولائم الفاخرة والأطعمة والخمور.

ومن ضمن الشعائر الأساسية التي كان يقوم بها الملك المتوج حديثاً الخلوة في أحد المعابد لعدة أيام. وقد ظل الملك آمون نوتي يركي في خلوته لمدة أربعة أيام يصلي فيها صباح مساء من أجل أن يصغي الإله لما يقوله جلالته كما ظل الناس المرابطون خارج المعبد يصلون من أجل أن يتم التوافق بين الملك والإله.

وخلاصة القول يتضح من حرص الملوك المرويين على القيام بمسيرة التتويج وما كان يؤديه كل ملك من شعائر وما كان يقوم به من واجبات نحو المعابد وما كان يجده من استقبال شعبي أن تولي السلطة في مروي كان يمر بمرحلتين مكملتين لبعضهما، المرحلة الأولى وهي مرحلة الاختيار المبدئي في مروي العاصمة، والمرحلة الثانية مرحلة التتويج الفعلي وتتم في نبتة العاصمة الدينية، وأن الطواف الملكي بالمعابد الشمالية استغل في تدعيم السلطة الدنيوية للملوك وذلك بإضفاء القدسية المستمدة من إرادة الإله «آمون» عليها.

تجديد الزعامة وقتل الملوك الطقسي:

بعد تتويج الملك الجديد حسبما بينا ومبايعة الكهنة والجماهير له أثناء الطواف واعتباره مباركاً من الإله كان يجلس على عرشه ليحكم شعبه حسب التقاليد والأحكام الموروثة من السلف، فإن حاد عن ذلك أو تعرض شعبه للكوارث تخلصوا منه بقتله قتلاً طقسياً دينياً يتناسب مع الطريقة التي جاء بها إلى الحكم.

وكان دايدورس الصقلي Diodorus وهو من كتاب القرن الأول قبل الميلاد أول من أخبر عن قتل الكهنة للملوك المرويين قتلاً طقسياً تنفيذاً لرغبة الإله (٦)، وجاء في قوله عن ذلك:

« ومن أغرب عاداتهم –أي المرويين– تلك العادة التي تتعلق بموت ملوكهم، ذلك أن الكهنة في مروي، الذين يصرفون أوقاتهم في عبادة الآلهة وإقامة الشعائر وهم –أي الكهنة– من أكثر الطبقات نفوذاً –كانوا وعندما تختمر الفكرة في رؤوسهم يرسلون رسولاً حاملاً إليه –أي الملك– أمر هلاكه، وكانوا يعللون لذلك بأن الإله كشف لهم عن رغبته (في قتل الملك) ويجب ألا يعصى البشر رغبة للآهة الخالدين.. وكان الملوك يذعنون لرغبة الكهنة لا عن خوف ولكن لتحكم الخرافات فيهم، وفي زمن بطليموس الثاني بات للملك أرقامينس– الذي تلقى تعليماً إغريقياً ودرس الفلسفة– من الشجاعة ما جعله يعصي مثل ذلك الأمر.. ودخل (أي هاجم مع جنوده) المكان المحظور حيث يقبع المحراب الذهبي (أي عرش الإله في قدس أقداس المعبد) وقتل الكهنة بحد السيف.. وبعد ذلك أبطل الملك تلك العادة وأصبح يدير أمور الدولة كما يروقه.» (٧)

وبالرغم من أن دايدورس نقل أخباره عن المرويين عن أقاثرخوس Agatharchides الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد وأن الأخير كان بدوره قد نقل معلوماته عن كهنة طيبة فإننا لا نعدم بعض الشواهد والمبررات الدالة على صدق الرواية التي أوردها دايدورس عما كان يفعله الكهنة للتخلص من الملك عندما يصبح ذلك أمراً حتمياً وضرورياً.

وأقدم مصدر نصي داخلي مباشر نجد فيه صدى لما ذهب إليه دايدورس في هذا الخصوص يعود تاريخه لمطلع القرن السادس ق.م، والنص المعني هو لوحة «عقاب الكهنة» التي كتبت في السنة الثانية من حكم الملك اسبلتا (٥٩٣–٥٨٦ق.م) ونورد فيما يلي الجزء الذي قد يؤيد رواية دايدورس عن الأمر كما جاء على لسان كاتبها:

« . . . إن جلالة (اسبلتا) حل بمعبد والده آمون نبتة . . لا تدعوهم يدخلوا معبد آمون نبتة . . وذلك بسبب الأمر المشين الذي لا يشرف ذكره الذي فعلوه في المعبد . إنهم فعلوا أمراً لم يأمر به الإله . . إنهم خططوا لأمر شرير (هو أمر) يتعلق بذبح رجل برئ من الأمر المشين (الذي ألحقوه به) . . . فرد الإله كيدهم إلى نحورهم لأنه أراد هلاكهم . . فذبحهم (ليكونوا عبرة) وليزرع الخوف في قلوب غيرهم من خدام (كهنة) المعابد . . » (٨)

وإذا كان الملك اسبلتا هو الشخص المقصود بالتآمر فإن ذلك يقودنا للربط بين ما جاء في هذا النص وانقلاب الملك المروي أرقامنيس ضد الكهنة حسبما جاء في رواية الكاتب الكلاسيكي دايدورس . والملكان هاجما الكهنة وأعدماهما . والسبب الواضح أن كلاً من الملكين لم يرد الهلاك إذعاناً لأوامر الكهنة ومزاعمهم عن رغبة الإله في موت الملك كما كانت تقول المعتقدات الجارية .

وإذا جاز ما افترضناه عن حقيقة هذين النصين فإنهما يمثلان مصدرين من فترتين زمنيتين متباعدتين، أولهما مصدر داخلي وثانيهما مصدر خارجي –ويتفقان في الاخبار عن ممارسة المرويين لعادة قتل الملوك قتلاً طقسياً- وفي الحالتين تمرد الملك المستهدف- والله وحده أعلم كم من الملوك المرويين راحوا ضحية لذلك التقليد .

وإذا افترضنا أن تلك العادة كانت معروفة ومقبولة بين المرويين فمن البديهي أن يتبع ذلك سؤالنا عن دوافعها في العقائد المروية وعن تلك الظروف التي أوجبت إقامتها، وبصفة خاصة، على الملكين المعروفين اسبلتا وأرقامنيس، ولعلنا نجد الإجابة فيما أورده جيمس فريز في مؤلفه القيم عن القتل الطقسي حيث ربط بين نظرية الملك الإله أو الملكية المقدسة والقتل الطقسي عند تلك الشعوب، وخلص فريزر إلى أن تلك الجماعات كانت ترى في مليكها تجسيداً للقدرة الإلهية ولا تسمح له بإظهار العجز البدني أو الفناء فناءاً طبيعياً لاعتقادها أن ذلك يؤثر على مجريات الأمور الطبيعية بينها، ولذلك كان الملك في تلك المجتمعات يقتل حينما يظهر عليه الوهن ولا يسمح له بالموت الطبيعي حتى لا تذبل الجذوة الإلهية قبل أن تحل في جسد خليفته فيضار المجتمع « ٩ » .

فهل كان المرويون الذين يؤمنون بقدسية ملوكهم يتخلصون منهم أحياناً بقتلهم قتلاً طقسياً

عندما تحتم الضرورات ذلك مثلما كانت تفعل الشعوب البدائية التي أشار إليها فريزر؟

وحقيقة الأمر أن الملوك المرويين الذين انتسبوا من ناحية الأب لواحد من الآلهة، وادعوا لأنفسهم قدرات من صميم قدرات الآلهة، مثل إعطاء النفس والحياة وتقدير الأرزاق لم يكونوا أنداداً للآلهة تماماً كما يبدو من تلك الادعاءات، إذ أنهم كانوا يأتمرون بأمر تلك الآلهة ويستنجدون بها ويتواضعون أمامها ابتغاء مرضاتها أسوة بالعباد الضعاف في كل زمان.

ولعلنا نجد في نظرة المرويين لملوكهم، بحسبانهم أقل مكانة من الآلهة ما أجاز الاستغناء عنهم، بقتلهم قتلاً طقسياً حينما يفشلون في القيام بدور الوسيط بينهم وبين القوة الألهية المتسببة في ازدهار ونماء المجتمع ولغير ذلك من الأسباب التي لا نعرفها. وإن لم نعد ملمين بالظروف الخاصة التي كانت تقرر مصير أولئك الملوك غير أننا لا نعتقد بأنها كانت تختلف كثيراً عن الأسباب التي دفعت بالشعوب البدائية لتجديد ملكياتها حسبما تراءى ذلك الأمر لصاحب كتاب «الغصن الذهبي».. ودليلنا على ذلك أن الملوك المرويين كانوا يعتبرون واسطة خير بين الآلهة والناس، ومن واجباتهم أن يهيئوا لهم وسائل الحياة والأمن. وكان الملوك المرويين لمعرفتهم بالأدوار المنوطة بهم وتضمن بقاءهم في السلطة كانوا يلحون في استرضاء الآلهة لتعينهم على تحقيق ذلك. ولعلم الملك تهارقو والملك أنلماني أن دوام الملكية رهين برفاهية المجتمع صليا من أجل فيضان يمنع القحط في زمانيهما.

ومما توحيه الأسباب التي حدت بالكهنة للتآمر على الملكين اسبلتا وارقامنيس، نرجح أن القتل الطقسي عند المرويين لم يرتبط بفشل الملك في الإيفاء بدوره كوسيط خير بين الآلهة والرعية فيما يتعلق بأمور الحياة اليومية وحسب، بل كان الخروج على التقاليد الموروثة وتعرض المجتمع لما يهدد سلامته، من الأمور الموجبة للتخلص من الملك بقتله قتلاً طقسياً.

وإن كنا لا نعرف الأسباب التي أدت لتآمر الكهنة على الملك اسبلتا، وهو الأمر الذي حدا به لمهاجمتهم وإنذار ورثتهم من ذات المصير غير أننا نستوحي من قصة تتويجه أن خلافات أسرية رافقت صعوده للعرش وأن البلاد تعرضت لغزو مصري مدمر في عام ٥٩١ ق.م، بعيد توليه للملك فأراد الكهنة بقتله درء الفتن ومنع الكوارث التي باتت تهدد المملكة بسبب الغزو، ولا نستبعد أن يكون الملك أرقامينس قد تعرض لتآمر الكهنة على حياته لأسباب مشابهة لتلك الأسباب التي كادت أن تؤدي بحياة سلفه، فالملك أرقامينس، لو جاز ما رواه عنه دايدورس، تلقى تعليماً اغريقياً وألم بالفكر اليوناني من خلال دراسته للفلسفة، إن كسب أي معارف

جديدة يعني التغيير في المفاهيم والسلوك. ونرجح أن ارقامينس بعد اكتسابه لتلك المعارف بدأ يصطدم بالتقاليد السائدة وبات يشكل خطراً على التراث المقدس فكاد أن يتعرض لمصير سقراط بين أهله.

وختاماً فإن عادة قتل الملوك قتلاً طقسياً، بأمر الآلهة، ظلت من العادات المعروفة والممارسة في السودان بعد قرون عديدة من زوال مملكة مروي وحتى وقت قريب في مملكة فازوغلي (١٠) ومملكة الشلك (١١).

وإن باتت نظرتنا للقتل الطقسي بأنه طريقة وحشية في تجديد الزعامة السياسية والتخلص من الحكام العجزة فإنها تتناسب تماماً مع الطريقة التي جاء بها أولئك الحكام «المقدسين» للعرش، إذ كيف التخلص من حاكم اختارته وباركته الآلهة دون اللجوء إلى أسطورة دينية أخرى توحي بأن الآلهة أمرت بإنهاء حياته عند فشله في أن يكون وسيط خير بين الآلهة والرعية؟

النساء والسلطة في مروي:

يذكر أن المرويين اعتقدوا في الأسطورة التي تقول بأن آمون جعل الحكم في أبناء أخوات الزعيم الارا أبد الآبدين، ويفهم من ذلك أنه خص بالملك الذكور دون الإناث. وبالفعل كان حكام مروي الأوائل (٥٧١–٣٣٥ ق.م) والذين دفنوا في جبانتي الكورو ونوري الملكيتين وعددهم ستة وعشرون ملكاً كانوا من الرجال، بل نجد أن النساء الملكيات دفن في جزء منفصل عن مدافن الملوك في هاتين المقبرتين كما تميزت اهراماتهن بصغر الحجم وضآلة المحتويات بالنسبة لأهرامات الملوك، والمعروف أن بعانخي كان قد ابتدع عادة دفن نسائه في جزء منفصل عن مدافن الملوك في مقبرة الكورو ومن ثم استمر هذا التقليد في جبانة نوري حتى امتلأت. وتبع تحول الدفن إلى البجراوية إبطال تلك العادة.

وفي مقبرة البجراوية الملكية الشمالية كان الهرم السادس حيث دفنت الملكة «أماني شاخيتي» Beg.6 أكبر أهرامات تلك الجبانة على الإطلاق كما توسطت اهرامات نساء ملكيات أخريات أهرامات الرجال الملوك.

ونرى في هذا التغيير في عادات الدفن، الذي بدأ في القرن الثالث قبل الميلاد، انعكاساً لتسامي مكانة النساء الملكيات وتقدمهن نحو الصدارة بعد أن ظللن خلف الملوك لقرون عديدة، يقررن وراثة العرش ولكن لا يجلسن عليه، والتطور الذي طرأ على وضعهن كما يتأكد من بعض

الشواهد النصية والأثرية الأخرى، جلوسهن على عرش المملكة أسوة بالرجال.

ويبدو أن أول ملكة تبوأت ذلك المنصب هي الملكة «برتاري» (٢٨٠ ق.م)، المدفونة في الهرم العاشر في مقبرة البجراوية الجنوبية. وبعد «برتاري» بقرن تقريباً جلست الملكة شنادخيتي (١٧٠ ق.م) على عرش المملكة أيضاً وما أن حل القرن الأول قبل الميلاد حتى تعاقب على مركز الصدارة عدد من النساء الشهيرات اللائي تركن بصماتهن على آثار المملكة وتحقق لبعضهن الجلوس على العرش أو مشاركة أزواجهن الملوك في السلطة.

ومع ما حققته بعض النساء الملكيات من مكانة، ابتداءً من القرن الثالث قبل الميلاد، دلت عليها آثارهن، ظهر أيضاً مع أسمائهن اللقبين «كور» و«كدكي» أو أحد اللقبين دون الآخر. وهناك إجماع حول اللقب المروي (كور) الذي يعني الملك.

واللقب الآخر الذي ألحق بأسماء عظيمات مروي كتب في المروية بأساليب ثلاثة هي:

(كدكي) و (كت – كي) و (كد – وي).

وفي غير المروية كتب هذا اللقب بطرق مختلفة قليلاً هي:

«كلكي» و«كنتكي» في الهيروغليفية المصرية، و«كندكي» عند الكتاب الكلاسيكيين، و«كنديسي» في اللغات الأوروبية الحديثة، وكنداكة في اللغة العربية. «١٢»

ورغم تقارب الطرق التي نطق بها هذا اللقب في شتى اللغات فقد تباينت الآراء حول معناه ومدلوله، وبينما اعتبر بعضهم لفظ «كنداكة» اسماً أكد آخرون أنه لقب مروي رفيع.

ولكن، وبعد أن أمكن قراءة الكتابة المروية ومعرفة معاني بعض مفرداتها وبعض قواعدها. ذهب الخلاف حول مدلول لفظة «كنداكة» اللغوي.

وفي الكتابات المروية المكتشفة وردت الكلمة سبع مرات مع أسماء عظيمات مروي بمفردها أو مسبوقة باللقب الآخر «كور» (ملكة) نوردها في الجمل الآتية: (١٣)

١–أماني شاخيتي كوري كدوني – وتعني الملكة الكنداكة أماني شاخيتي
٢– أماني رينس كوري كدوني – وتعني الملكة الكنداكة أماني رينس
٣– أماني رينس كور كدكي – وتعني الملكة الكنداكة أماني رينس
٤–أماني رينس كدكي – وتعني الكنداكة آماني رينس

٤– أماني رينس كدوي – وتعني الكنداكة اماني رينس
٦– أماني توري كت كي – وتعني الكنداكة أماني توري
٧– مريبري كت كي – وتعني الكنداكة مريبري

ومن سياق محتويات هذه النصوص المروية تتبين أربع حقائق هي:
أولاً: إن لفظ «كنداكة» ليس اسماً، لوجود اسم حاملة اللقب في كل مرة.
ثانياً: إن لفظ «كنداكة» لا يعني الملك أو الملكة لأن كلمة كور (الملك، الملكة) اطلقت على الكنداكات أماني رينس وأماني شاخيتي.
ثالثاً: لم يلحق هذا اللقب في الكتابات المروية بغير النساء الملكيات وهذا يجعلنا نخلص إلى أن لفظ «كنداكة» كان من ألقاب عظيمات مروي.
رابعاً: إن بعض الكنداكات –أماني رينس وأماني شاخيتي– حملن اللقب كور (ملك) الدال على جلوسهن على عرش المملكة.

ويبقى التساؤل عن حقيقة تولي النساء الملكيات للسلطة الفعلية – الأمر الذي لم يتم لسالفاتهن الأوائل!!

ومن الواضح أننا لا نملك من الأدلة ما يمكن من الوصول إلى إجابة ناجزة عن الكيفية التي وصلت بها «برتاري» (٢٨٠ ق.م) أول امرأة معروفة لدينا تجلس على عرش مروي، إذ ربما كان ذلك نتيجة لصدفة جلعت فيها وصية على عرش ابن أو أخ قاصر أو نتيجة لغياب وريث مستوف للمعايير الوراثية التي حددتها الأعراف والتقاليد عندهم.

أما بداية القرن الثاني قبل الميلاد فقد شهدت تبوّؤ الملكة سنادختني «١٧٠–١٦٠ ق.م» عرش المملكة، وبقيت على مقصورة هرمها صورة لشخص يافع يرجح أنه ابن أو أخ قاصر قامت شنادخيتي وصية على عرشه.

وفي القرن الأول قبل الميلاد تصاعد نجم النساء الملكيات بصورة لم يسبق لها مثيل في التاريخ المروي، وقد رافق ظهور ثلاث مجموعات أسرية بدا فيها وكأن أفراد كل مجموعة توجوا ملوكاً ليشاركوا في أمور الحكم وأداء الشعائر الدينية أمام الآلهة، المجموعة الأولى وضمت الملك «ترتقاس» والملكة «الكنداكة: أماني رينس» والبكر (الأمير) «أكنداد»، والمجموعة الثانية ضمت الملكة الكنداكة اماني شاخيتي والأمير أكنداد وأماني خبلي، والمجموعة الأسرية الثالثة وضمت الملك نتكامني والكنداكة أماني توري والأمراء «أريككتاني» و«أريكانخرور»

و« شـروكرور » . كـما عـثر هـنتزا « Hintze » على خاتم مـلكي بين مجـموعـة فرلـيـني نقشت عـليه صـورتا ملك ومـلـكـة يرفعان طفلاً ويستـدل من كـل ذلك تـنامي الشـعور الأسري لدى المـلوك المرويين .

إن الـشأو الذي بـلغته الكـنداكات في مـروي مؤخراً لا يمكن فصله عما سبق أن كسبـته النساء الملـكيات خاصة الأم والـزوجـة في صدر الـدولة المرويـة وقد رأى مكـادم Macadam أن السيدات الملكيات ظللن يحتفظن بمكانتهن على مر الـقرون بسبب دورهن الإيجابي في تحديد وراثة الملك حسب الأعراف والتقاليد الدينية المروية . ورجح أن يكـون لقب كنداكة موازياً للقـب « أم الملك » الـذي عرف في الـنصوص الملـكيـة المكتوبة بالـهـروغليفـية المصرية، وبتـحـديد أدق بـات لقب « كنداكة » كما يـرى مكـادم يطلق على أم الملك القـائم أو على تـلك التي يـرجى لها أن تـنجب ملـكاً، وأن في ظاهرة المبـالغة في تـضخيـم صدر وعجـز الكـنداكة عند تصـويرهـا رمزاً لـلخـصوبة المرجوة والضرورية لإنجاب الملوك (١٤) .

والشاهد على تعظيم النساء عـموماً بين المرويين أن لـوحات القرابين المكـتوبة باللغـة المروية لغير الملوك أو افراد الأسرة المالكة كشفت عن حرص أصحابها على الانتسـاب للأم قبل الأب وقد كان الميت يعرف نفسه بأن « فلان ابن فلانة ابن فلان » .

ولعلنا نرى فيـما عرف عن تعظيـم للنساء في العهد المسيحي في السودان وفي بعض موروثات المجتمع السوداني الحـديث صدى للتقاليد المرويـة التي عظمت دور النساء . وفي العهـد المسيحي جـاء في قول جـورج ابن المـلك زكريـا مـلك دنقـلا عـنـد زيـارته لبـغـداد في عهـد الخـليـفة الـعباسي المعتصـم (٨٣٢–٨٤٣ م) عن قـومه « إن أمرنا بأيدي نسائنا » (١٥) . ومازال السودانيون يرددون المثل الـقائل « الخال شـريك الـوالد » وفي المـآتم تـنادي الـنسـاء الميت « يا ود (ولـد) أمـي » إن كان رجلاً، أو « يا بنت أمي » إن كانت امرأة، ويستعمل لفظ « ولد أمي » بعض أهل غرب السودان في مخاطبة الأصـدقاء وكلها تعـابير تكشف عن صدق ومتانة الصلات « الأمومية » التي غرست في البيئة السودانية منذ العهد المروي .*

***

*** وخلاصة القول إن تسامي مـكانة النساء بعد القرن الثالث قبل الميلاد وحملهن الألقاب العظيمة « كور » و« كدكي » يعود إلى ألالمرويين في الأساس انحدروا من قوم كانوا يعظمون النساء ويولوهن تنظيم الوراثة بينهم مثلما عرف عند بعض الشعوب الأفريقية التي ظلت ترعى مثل هذا التقليد ، وحينما اعتنق المرويون العقائد الدينية ، خاصة الآمونية ، خلعوا على ذلك التقليد الذي كان سائداً بينهم تلك الصفة الدينية ، ولذلك ظلوا يعظمـون نساءهم ودانوا لهن حينما جلسن على العـرش في فـتـرات مـتـبـاعـدة دون الـشـعـور بـاخـتـلال نـظـام الحـكم الـتـقـلـيـدي عـنـدهم .***



صورة رقم ٣ الكنداكة اماني توري

صورة رقم ٤ الكنداكة اماني شاخيتي

الإدارة الإقليمية:

وإن تبين بالوضوح التام أن الملوك «المقدسين» تربعوا على قمة السلطة في مروي وتوارثوها حسب تقاليدهم غير أن طبيعة وحدود سلطات الآخرين الذين كانوا يعاونونهم والواجبات والصلاحيات التي كانت متوفرة أو ممنوحة لهم لم يبق عنها في آثار المرويين الكثير وبذات الوضوح، ومن الشذرات المتفرقة مما كتبوا أو تركوا من آثار نحاول تبين شكل البناء الإداري الذي كانت عليه الإدارة فيما دون الملك.

تشير كتابات المرويين، خاصة اللوحات الملكية المكتوبة بالهروغليفية المصرية، أنه كان للكهنة وقواد الجيوش ووجهاء القصر دور كبير في مجريات السياسة العليا للدولة. وأن هذا الدور كان يتعاظم في الأوقات الحرجة ، خاصة عند تنصيب أو عزل الملوك. وإن كنا قد بينا في الصفحات السابقة وباستفاضة دور الكهنة في عزل الملوك فيبقى حديثنا هنا عن دورهم ودور غيرهم في تثبيت الملك القائم أو اختيار الملك الجديد حينما يشتجر الرأي حول ذلك. فالملك اسبلتا يستهل لوحة انتخابية لحظة اختياره وتتويجه معتداً بوجود ستة من القواد العسكريين على رأس جيشه وستة من حملة الأختام الملكية وستة من الكتبة وستة من الأمراء وهم يدعون الجنود ليشاركوهم في تتويج مليكهم الجديد «١٦». ونرجح أن هذه حالة استثنائية حيث أن اختيار اسبلتا تم وسط معارضة شديدة من منافسيه الذين تآمروا على قتله في العام التالي من التنصيب. لقد كان لهؤلاء القواد والوجهاء دور كبير في حسم الخلافات التي قد تستعر بين الطامعين في العرش من وقت لآخر.

وقياساً على ذلك نرجح أنه كان لهؤلاء القواد والوجهاء رأي مسموع في أوقات السلم والحرب ودور أساسي في تثبيت النظام، علماً بأن الإدارة العليا للمملكة ضمت العديد من أصحاب الألقاب الرفيعة ذكر منهم بجانب من ذكرنا حملة الأختام الملكية والمسؤولين عن الخزائن العامة والخزائن الخاصة بقصر الملك وكاتب الملك وسكرتير الملك «١٧» ولكن لم يرد توصيف لوظائفهم أكثر مما يدل عليه مسمى الوظائف نفسها.

إدارة الأقاليم:

أما على صعيد الإدارة الاقليمية والمحلية في المناطق البعيدة من مركز الدولة فنرجح أن البلاد كانت مقسمة إلى إدارات مختلفة أساسها الأقليم أو القبيلة تماماً كما ظل يحدث طوال تاريخ السودان الوسيط والحديث إذ لا يعقل أن تدار الأقاليم البعيدة من مركز المملكة من مروي.

والشواهد على ذلك متوفرة ولكنها تأتي كلها تقريباً من آثار وكتابات المرويين بلغتهم الخاصة ومن الإقليم الشمالي للملكة « النوبة السفلى » .

لقد حفلت كتابات المرويين التي يمتد زمان ورودها بين القرنين الأول قبل الميلاد والقرن الرابع الميلادي بألقاب عديدة بعضها ديني والبعض الآخر دنيوي، وإن كان معظم هذه الألقاب مجهول المعاني والدلالات غير أن ورودها المتكرر ينبئ بأن البلاد عرفت نظاماً إدارياً شمل البلدات الصغيرة والأقاليم كما تولى إدارة المناطق الحيوية إداريون على درجة رفيعة.

وتبرز بين ألقاب المرويين في ذلك الأقليم ثلاثة ألقاب كان أصحابها في قمة السلطة الإدارية لقبان منهما معانيهما معروفة لورودهما في اللغتين المصرية القديمة والإغريقية واللقب الثالث، وهو الأعلى رتبة، كان مروياً خالصاً. والألقاب هي كما كتبها المرويون : « بكر Pqr» و « بشتو Pesto » و« بلموش Pelmos » ونتناول فيما يلي مدلولات كل لقب منها ومكانة واختصاصات حامله.

١- بكر Pqr «الأمير المتوج»

كتب هذا اللقب بالخط المروي بثلاث طرق مختلفة قليلاً هي « بكر، بكوري، بكري » مع مراعاة تسكين الحرف الأول فيها جميعا. وبخلاف الألقاب الأخرى التي سنأتي على ذكرها لم يرد هذا اللقب في كتابات المصريين أو الإغريق يستدل بها على معناه بالتحديد. وقد عرف اللقب في منطقة العاصمة مروي كما ورد كثيراً في كتابات المرويين الشماليين خاصة في صادنقا وفرص وكرنوق وابريم ودكا « ١٨ » . وظل اللقب معروفاً عند المرويين لفترة دامت خمسة قرون بين القرنين الثاني قبل الميلاد والخامس الميلادي.

ويؤكد أهمية اللقب « بكر» وسمو مكانة حامله ثلاثة شواهد هي :

١- أن جملة من ذكرت أسماؤهم من حاملي اللقب وعددهم ثلاثة، ارتبطوا بالملوك إذ وردت اسماؤهم في معيتهم فيما كتبوا في صورهم المنقوشة على جدران المعابد أو الاهرامات. والمعنيون هم الـ« بكر» أكنداد الذي ظهر في معية الملك ترتقاس، والكنداكة أماني رينس، والـ« بكر» اترتي مع الملكة نويدماك، والـ« بكر»

١- اركاضرور مع والديه الملك نتكامني وأماني توري « ١٩ »

٢- تصدر ذكر لقب الـ« بكر» كل الألقاب المروية التي وردت في لوحات القرابين التي أودعها المرويون قبورهم. وقد كان الموتى منهم يكثرون من ذكر أقاربهم ذوي الشأن علَّ ذلك يشفع لهم

عند آلهة الحساب .

٣– بالرغم من أن المرويين اعتادوا ذكر ألقاب وأسماء أقربائهم وأماكن عملهم غير أنهم ، ولسوء الحظ، لم يفعلوا ذلك مع حملة اللقب « بكر » وفي حقيقة الأمر لم ينسب الـ « بكر » إلى مكان إلا مرة واحدة وكان ذلك المكان هو مروي . ومعلوم أن مروي كانت أهم مدن المملكة .

فهل كل ما أوردناه عن هذا اللقب وعن القرائن الدالة على أهميته يفيد في التعرف على ما كان يعنيه بالنسبة للمرويين وطبيعة وحدود سلطات حامليه وأماكن أقامتهم ؟

أما بالنسبة لما كان يعنيه اللقب نتفق مع قريفث « Griffith » « ٢٠ » فيما ذهب إليه من أن اللقب كان يعني « الأمير » أو « الأمير المتوج » . استنتج قريفث ذلك لظهور الأمراء الثلاثة الذين أتينا على ذكرهم، وهم من حملة اللقب المعني، في معية أفراد الأسر المالكة . أما بالنسبة للتساؤلين الأخيرين فتصعب الإجابة القاطعة علماً بأنه لم يوجد بعد قبر لأي « بكر » في النوبة المروية كما أن الاستدلال بإلحاق أحد حاملي اللقب بمدينة مروي ولمرة واحدة لا يقف دليلاً قاطعاً على أنه كان حاكماً في مروي وإن كنا لا نستبعد أنه كان يصرف بعض الأعمال في المدينة .

٢ / البشتو « Pesto » = « ابن الملك »

وإن غلبت كتابة هذا اللقب بالصيفة أعلاه « بشتو » غير أنه ورد في اللغة المروية بطريقتين أخريين هما « بستو Pesto » و « بستي Pesti » . وهناك إجماع من المتخصصين على ما ذهب إليه قريفث « Griffith » « ٢١ » من أن هذا اللقب يوازي في معناه اللقب « باسنسو » عند المصريين و« سنتي » عند الإغريق ويعني في الحالتين « ابن الملك » . ولكن وكما لاحظ مكادم « ٢٢ » أن ذلك لا يعني أنه ابن الملك من صلبه وإنما عامله في الجهة المنسوب إليها وجدير بالذكر أن لقب « ابن الملك » كان يطلق مجازاً على الولاة المصريين الذين انتدبوا من قبل الفراعنة لحكم السودان الشمالي في زمن الأمبراطورية المصرية « ٢٢ » وهنا نلاحظ أنه قد مضى على ذلك ألف عام منذ نهاية حكم المصريين للمنطقة والبدايات الأولى لظهور اللقب فيها وبذات المدلول!

وتؤكد الدلالات المختلفة أن حامل اللقب « بشتو » كان الحاكم الفعلي لاقليم النوبة السفلى وأنهعلى درجة عظيمة من الأهمية . والشواهد على ذلك هي :

١– أن اللقب كان من بين ألقاب اكنداد وأن الأخير كان ابناً حقيقياً لملك .

٢– ان مدافن « البشتوات » كانت متميزة على جميع المدافن الأخرى التي وجدت في النوبة السفلى « ٢٣ » مما يؤكد أنهم كانوا أهم شخصيات في الإقليم .

٣- إن موتى المرويين، وعلى عادتهم التي أشرنا إليها سابقا، في ذكر ألقاب من كانوا يمتون إليهم بصلة القرابة كانوا كثيراً ما يعتزون بقرابتهم لـ «بشتو» وكان لقب «البشتو» يأتي دائماً في مقدمة الألقاب الأخرى المدونة على شواهد القبور، إذا لم تكن هناك قرابة للمتوفي بأحد حاملي اللقب «بكر» الأرفع درجة.

٤- في أدعاء بعضهم بأنهم أقرباء الـ «بشتو» وفي ذات الوقت أقرباء لـ «بكر» ما يقري بأن «البكرات» و «البشتوات» ربما كانوا ينتمون بصلة القرابة لبعضهم البعض علماً بأن «البكرات» ينحدرون من الأسرة المالكة.

تكرر ورود اللقب «بشتو» لوحده أو متبوعاً بأسم حامله في كثير من كتابات المرويين في النوبة السفلى – في صادنقا. سرا غرب،وفرص ،وأرمينا، وسنسرا، وكرانوق، وتوماس وفيله. وبخلاف ما عرفناه عن قلة انتساب «البكورات» لأماكن إقامة محددة فإن «البشتوات» كثيراً ما الحق الواحد منهم بمكان بعينه حيث يقيم ويباشر سلطاته الإدارية. وبين هذه الأماكن المذكورة يبرز اسم بلدة كرنوق. وفيها نجد أن أربعة من «البشتوات» المعروفين «خاويتارور ومالوتون وناتي وتر وابراتوي» قد قبروا في جبانة البلدة . وهذا يجعلنا نرجح أن كرنوق كانت في القرن الثالث الميلادي وهو عصر ازدهار أولئك «البشتوات» الأربع كانت المركز الإداري الرئيسي لإقليم النوبة السفلى المروي. ولا نستطيع أن نجزم ما إذا كانت فرص أو غيرها، حيث ذكر البشتوات الأوائل، قد كانت المقر الأول لحاكم الإقليم الشمالي الذي ظل يحتفظ بلقب الـ «البشتو» «ابن الملك».

وإن لم نعد ملمين تماماً بطبيعة العلاقة بين حاكم النوبة المروية «البشتو» والسلطة المركزية في مروي غير أن بعض الإشارات القليلة تؤكد تبعية الإقليم للمركز. وبين «البشتوات» المشهورين الذين كشفوا عن طبيعة هذه العلاقة «ابراتوي» الذي جاء إلى معبد فيلة وقيل إنه كان يحمل هدايا من سيده الملك تقرديا مني ليقدمها لإيزيس آلهة المعبد . وفي نقوش أخرى نجد أن بعضهم ادعوا القرابة للزوجة الملكية وأن كثيراً من البشتوات ادعوا القرابة لـ «البكورات» أبناء الملوك الحقيقيين. ولا نستبعد أن العلاقة بين هذا الإقليم والمركز في مروي كانت كبيرة أشبه بالعلاقة التي كانت سائدة بين الفونج والعبدلاب حيث تمتع العبدلاب بحكم ذاتي واسع شمل حتى اختيار حاكم الإقليم ومساعديه من زعماء القبائل وما دونهم.

٣- بملوش «Peloms» = جنرال

وإن كتب هذا اللقب بالخط المروي بصيغتين مختلفتين قليلاً في النطق غير أن طريقة كتابته

الغالبة هي ما أوردناه. ويطابق هذا اللقب في معناه اللقب «ا مر مشع ن بامو» المعروف في كتابات المصريين بالخط الديموطيقي و «استرتيجوس» في كتابات الإغريق ويعني في الحالتين «جنرال» ونلاحظ أن المرويين كانوا قلَّ ما يكتبون هذا اللقب دون إضافة إحدى لفظتين هما «اتولس =الماء» أو «ادبلس = الأرض». «٢٥»

وبالتالي فإنه عادة ما يرد بإحدى الصيغتين «بلموش اتولس» أو «بلموش ادبلس» والراجح أن المقصود بالماء النهر والمقصود بالأرض الصحراء المحيطة بالنهر في النوبة السفلى.

وكانت مهمة هؤلاء «الجنرالات العسكريين في النوبة السفلى» حماية حركة النقل والتجارة البرية والنهرية النشطة التي ازدهرت بين بلاد المرويين، وبخاصة بين النوبة السفلى ، ومصر الرومانية. «٢٦»

وظهور هؤلاء الجنرالات العسكريين في القرن الثالث الميلادي يعزى لتدهور الأحوال الأمنية في المنطقة في ذلك الوقت وأبرزها هجمات البلميين «البجة» على المنطقة وتهديدهم لصعيد مصر. ولا نشك في أن هؤلاء الجنرالات كانوا من أصحاب المقامات الرفيعة في إدارة الإقليم الشمالي وأنهم تعاونوا مع «البشتوات» حكام الإقليم في حفظ النظام مما أدى للازدهار المشهود في إقليم النوبة السفلى في تلك الفترة.

بجانب هذه الألقاب القيادية الرفيعة عرفت النوبة السفلى عدداً كبيراً آخراً من حملة الألقاب المدنية شاركوا جميعاً في إدارة الإقليم. وإن لم نعد ملمين بمعاني الكثير من هذه الألقاب فلابد أنها ضمت إدارات القرى والمدن المختلفة التي يحتم وجودها ذلك المجتمع المستقر والمزدهر في القرون الأولى بعد الميلاد. ونذكر فيما يلي بعضا من تلك الألقاب كما وردت في كتابات المرويين دون التعرض لمعانيها التي لا نعرفها أصلاً وهي:

اموكي «amoke» وابوتي «apote» وخبخن «xbxen» وخربخن «xrpxn» وميربري «merpre» ومردي «mrde» ومسكوروس «msqoros» وشلكن «slegen» وشتمدس «stmdes» وشمت «smt» وتتن «ttn» وليكي «wleke». «٢٧»

وإن كشفت المصادر المتاحة أن النوبة المروية خضعت لنظام إداري محكم أدى لاستقرارها وازدهارها ونظّم علاقاتها بمركز المملكة غير أن انعدام مصادر مشابهة أو خلافها عن أقاليم المملكة الأخرى يجعلنا عاجزين عن تصور ما كانت عليه الإدارات الاقليمية الأخرى ولكنا لا نستبعد قيام نظم إدارية مشابهة هناك.

هوامش الفصل الثاني

١ / لوحة تهارقو Inscr-6- 23-24
٢ / لوحة اسبلتا Elect. 20-21
٣ / لوحة بعانخي .Pye 1,13
٤ / لوحة امون نوتي يركي Inscr.1x
٥ /للمزيد عن تفاصيل هذه الرحلة راجع عمر حاج الزاكي ١٩٨٣ ص ١٠٣–١١٤
٦ / Diodorus II,5
٧ / نفس المرجع السابق
٨ / لوحة اسبلتا Inscr
٩ / فريزر Frazer 1963, p 265-66
١٠ / يوسف فضل حسن ١٩٧٥ ص ١٢١
١١ / Selgman
١٢ / MI: I,80
١٣ / راجع الزاكي ، ١٩٧٥ ص١٢١
١٤ / Macadam, 1966, p. 46
١٥ / البلاذري ١٩٣٢ ص. ٢٣٨
١٦ / لوحة إنتخاب إسبلتا .Elect. st 7
١٧ / نفس المصدر السابق
١٨ / الزاكي ١٩٧٥، ص ١٤٦.
١٩ / نفس المصدر السابق ص ١٤٨
٢٠ / قريفث Griffith 1911,p. 78
٢١ / قريفث Griffith 1912, p.46
٢٢ / مكادم Macadam 1950, p.46
٢٣ / الزاكي ١٩٧٥، ص ٢٥٤.
٢٤ / قريفث Griffith 1912, p.46

٢٥ / قريفث :Griffith 1911,p-9

٢٦ / ملت Millet 1973,p-36

٢٧ / راجع الزاكي ١٩٧٥، الفصل الثاني.« ٦ ».

الفصل الثالث

الفنون والعمارة والكتابة

الفصل الثالث

الفنون والعمارة والكتابة

لم تجد فنون المرويين حظها في الدراسة والتصنيف لأن الباحثين الأوائل في مجال التاريخ المروي ارجعوا جذور تلك الفنون لأصول مصرية وظلت حسب منظورهم تتدهور في مستواها مع مرور الزمن مع ضعف التأثير المصري عليها.

وان اتفقنا معهم بأن الدولة الكوشية «المروية» الناهضة أخذت الكثير من المصريين، خاصة في مجال العقائد الدينية، وأن معظم الفنون وقتها ارتبطت بأمور الدين والعقيدة، فلا نتفق معهم بأن المرويين لم يكونوا سوى نقلة لما كان رائجاً ومزدهراً في مصر.

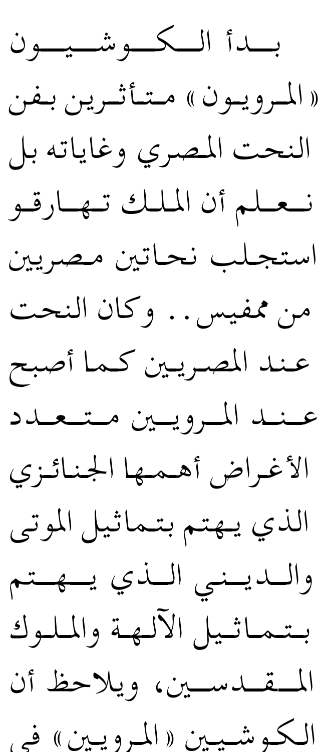
والمتأمل للفنون المروية يجد أنها تأثرت كثيراً بما كان رائجاً من الفنون في العالم من حولها في مصر الفرعونية والبطلمية والرومانية بل يرى البعض أنها استوعبت تأثيرات فنية من أماكن بعيدة في الشرق الأقصى، ولكن المروي في كل ذلك أظهر أصالته وعكس قدراته الفنية ابتداء من القرن الثالث قبل الميلاد وتفرد في أحايين كثيرة بإبداعات فنية لا يمكن أن تنسب إلى غيره. وهذا النقل أو التأثر بفنون الآخرين لا يقدح في قدرات المرويين الفنية إذ أن ديدن التطور الحضاري الانساني ارتكز دائماً على ما هو قائم من الحضارات السابقة له، وما الحضارة الإنسانية إلا جهد بشري متراكم متوارث كما أن المقدرة على النقل في حد ذاتها مرحلة متقدمة من التحضر.

وأبرز الفنون التي عكستها آثار المرويين وبقيت منها بقية تمكن من تأملها ودراستها تنحصر في التماثيل المنحوتة من الحجر والمصنوعة من المعادن، والرسومات والزخارف المنقوشة أو المصورة على جدرانالمعابد والأهرامات وغيرها من صناعة الحلي والفخار.

فن النحت



صورة رقم ٥ وجه للملك تهارقو



بدأ الكوشيون «المرويون» متأثرين بفن النحت المصري وغاياته بل نعلم أن الملك تهارقو استجلب نحاتين مصريين من ممفيس.. وكان النحت عند المصريين كما أصبح عند المرويين متعدد الأغراض أهمها الجنائزي الذي يهتم بتماثيل الموتى والديني الذي يهتم بتماثيل الآلهة والملوك المقدسين، ويلاحظ أن الكوشيين «المرويين» في البداية نزعوا للتأثر في هذا المجال، بطراز الدولة القديمة والدولة الوسطى وكان متوقعاً أن يتأثروا بطرز الدولة الحديثة التي استعمرت شمال السودان لفترة طويلة قبل نهوض الكوشيين، ولاحظ «ديرك» «١» أن هذا التأثر، الذي لا يوجد له تفسير، شمل زخارف جدران معبد آمون الذي بناه الملك تهارقو في الكوة، كما لاحظ أيضاً أن تماثيل الكوشيين «المرويين» الأولى تميزت بالواقعية كما يعكس ذلك تمثال أبو الهول الخاص بالملك تهارقو، وقد نحت هذا التمثال من حجر الجرانيت بجسم أسد ووجه إنسان، وكان الوجه للملك تهارقو. وحملت ملامح الوجه الصفات الزنجية الحقيقية لصاحبه- الشفاه الغليظة والوجه المستدير مع بروز عظام الوجنتين والأنف الزنجي. (صورة رقم٥)

أما تماثيل الملوك من تهارقو إلى اسبلتا فقد أخذت طابع تماثيل ملوك مصر وفيها ينتصب الرأس فوق كتفين عريضين ويتجه بعامة إلى الأمام، ثم إنا لا نكاد نلمس أثراً للحركة في التمثال غير تقديم القدم اليسرى قليلاً (تعبيراً عن بدء السير أو النشاط) وتقديم اليد اليسرى القابضة على العصا للتعبير عن الهيبة والرئاسة «٢»، نرجح أن هذه التماثيل كانت صوراً صادقة

لأصحابها. وهذا الحرص مرده ديني إذ كان ينبغي لـ (كا) الميت –روحه– التي تتجول خارج القبر كما كانوا يعتقدون أن تجد في التمثال بديلاً يغنيها عن جسدها الذي كانت تسكن فيه في الحياة الدنيا وأي خطأ في الشبه يؤدي –حسب معتقدهم– ألا تتعرف الروح على صاحبها وأن تتقمص التمثال روح أخرى غير الروح الأصلية صاحبة التمثال. (صورة رقم٦)


صورة رقم ٦ تمثال

وإن ظل طابع النحت المصري غالباً في دولة كوش «مروي» حتى القرن الثالث قبل الميلاد فإن الفترة بين التاريخ الأخير والقرن الرابع الميلادي –تاريخ نهاية المملكة– قد تميز بتغلب الطابع المحلي «المروي» في الشكل والمواضيع، وإن لم يختف التأثير الخارجي تماماً.

ومن المميزات المحلية الافريقية في أسلوب فن النحت في الفترة المروية المتأخرة في تماثيل الرجال الكتفين العريضين المسترخيين، والرأس المستديرة التي تنتصب فوق عنق غليظ وطويل.

أما تماثيل النساء فقد تميزت بضخامة الصدر والعجز، وهو نفس الأسلوب بالنسبة لصور الكنداكات المنقوشة على جدران المعابد، ويبدو أن تضخيم تلك الأجزاء من جسم المرأة كان يوائم الذوق المروي أو يطابق مقاييس الجمال عندهم، مع رمزيته للخصوبة. «٣»

وبجانب تماثيل البشر الضخمة التي زينت مداخل المعابد نحت المرويون عدداً من تماثيل الكباش الجاثية لتحيط بالطريق القريب المفضي لمعابد آمون في مروي، ومعبد آمون في النقعة، كذلك قامت تماثيل الأسود، بذات الصفة، لتحرس مداخل معابد الأسد في مروي

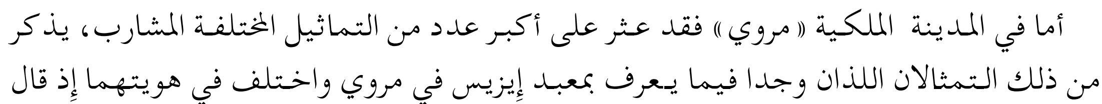
صورة رقم ٧ كباش امون

والنقعة .(صورة رقم٧)

وأشهر تمثالين ضخمين من هذه الفترة كانا قد أعدا لينصبا أمام معبد آمون في أرقو ويرجح أنهما يعودان للملك المروي نتكامني، ويعكسان في أسلوبيهما المختلفين عدم توحد أساليب فن النحت، إذ كان أحدهما ذو ملامح محلية « مروية » بينما يظهر في



التمثال الآخر تأثير الفن الهلنستي « ٤ » و (صورة رقم٨)



أما في المدينة الملكية « مروي » فقد عثر على أكبر عدد من التماثيل المختلفة المشارب، يذكر من ذلك التمثالان اللذان وجدا فيما يعرف بمعبد إيزيس في مروي واختلف في هويتهما إذ قال قارستانج أنهما لملك وملكة، بينما يرى شيني أنهما لرجلين « ٥ »، ويرجح أنهما للملك نتكامني أعدا لينصبا أمام المعبد .



صورة رقم ٨ تمثالان ملكيان من جزيرة ارقو

وفي الحمام الروماني وجدت تماثيل عديدة تعكس مؤثرات وأساليب البحر الأبيض المتوسط في النحت ومعظمها مصنوعة من الجبص، وبين تماثيل الحمام الروماني نذكر تماثيل ثلاثة أشخاص يعزفون على آلات موسيقية ، وبالقرب من الحمام الروماني وجد في خرائب المعبد،

تمثالان من الجبص أحدهما لرجل والآخر لإمرأة.

بجانب تماثيل الحجر صنع المرويون من المعادن، البرونز والذهب، بعض التماثيل الصغيرة بقي منها القليل. ويذكر تمثال البرونز الذي وجد في معبد الكوة وهو لملك أو إله تزيا بزي ملوك القرن الأول قبل الميلاد، كما وجد في نفس المعبد تمثال لرأس آلهة صنع من البرونز ونقش عليه اسم الملك المروي ارناخمني، أما أشهر التماثيل المصنوعة من البرونز التي وجدت في العاصمة الملكية، تمثال رأس أغسطس قيصر الذي كان المرويون قد أخذوه من أسوان أثناء الحرب الرومانية المروية (صورة رقم ٩).


صورة رقم ٩ تمثال رأس اغسطس

ومن أمثلة التماثيل المستجلبة من الخارج التي وجدت في المدافن الملكية وجد في احد إهرامات البجراوية الشمالية «الهرم الخامس» رأسان لتمثالين للإله دايوناسيس يظهر أنهما صناعة إغريقية، كما وجد في نفس الهرم تمثال صغير لجمل يرجح فيركتور أنه مستجلب من الصين.

ومن بين التماثيل النادرة المصنوعة من الذهب تمثال الملكة أماني توري الذي وجد في البركل ولا يخفى فيه تأثير فن النحت الإغريقي. «٦» ويلاحظ أن التأثير الهلنستي على فن النحت المروي قد تعاظم في نهاية القرن الأول قبل الميلاد والقرن الأول الميلادي.

وشهدت الفترة المتأخرة من عمر المملكة المروية استخدام أساليب في النحت لم تكن معروفة من قبل كما أنها لم تكن ناتجة من تأثيرات خارجية مصرية أو غيرها، وأمثلتها في أعمدة معبد الأسد في المصورات الصفراء« Mus-300 »، حيث قامت قاعدة الأعمدة على تماثيل أسود

وأفيال « أسدين وفيلين في كل عمود » بينما نحت الجزء الأعلى من العمود في شكل الإله ارسنوفس، أو الإله سبومكر، ونفس الشيء يقال عن أعمدة وجدت في البركل، وودبانقا، حيث نحت العمود في شكل الإله (بس).

وظاهرة أخرى ميزت منحوتات المرويين وأعطتها خصوصيتها تماثيل الـ (با)، وأصلها مصري أودعت مدافن الموتى لترمز لروح المتوفي، وكان المصريون يصنعونها في شكل طائر بجسم إنسان، أما المرويون فقد تدرجوا في تغيير هذا الرمز فنحتوه أولاً في شكل إنسان برأس طائر ثم جعلوه إنساناً كاملاً بأجنحة طائر (صورة رقم ٦). وأخيراً تذكر تماثيل الشوابتي المصنوعة من القاشاني والتي لم يخل منها هرم من إهرامات المرويين وتصور تماثيل القاشاني شخصاً ذو لحية وذيل ويلبس باروكة فوقها لباس رأس مقلم عليه ثعبان وتحمل اليدان معزقة وعلى ظهر هذا التمثال الصغير اسم صاحب الشوابتي وهو غالباً صاحب الهرم.

الفنون الدقيقة:

ويبدو أن أغلى وأجل الأعمال الفنية للمرويين كانت مخبأة في مدافنهم، خاصة المدافن الملكية، ولكن ولسوء الحظ تعرضت مقتنيات المدافن للنهب عبر القرون ولم ينج منها الكثير سالماً سوى كنز الملكة أماني شاخيتي الذي كان مدفوناً في هرمها بالبجراوية، حتى قام بنهبه كاملاً في العصور الحديثة فرليني الذي قدم للسودان في عام ١٨٣٠م كطبيب عسكري في خدمة جيش الاحتلال التركي المصري. ونجح الحادبون على أمر الآثار من تجميع ما أمكنهم من مقتنيات الكنز في متحف برلين « ٧ » وبقي منها في ذلك المتحف:

١- أسورة معاصم وعددها عشرة.

٢- أختام درعية صنعت من ذهب مطعم بالعاج.

٣- اثنان وستون خاتماً، سبعة وخمسون منها من الذهب والبقية من الفضة.

٤- سلسلة رقبة.

٥- أقراط أذن.

٦- قطع من عقود صدرية.

* لا نجزم أن المرويين عرفوا «القران المقدس» الذي كان يمارس عند البابليين ولكن الصورة توحي بذلك.

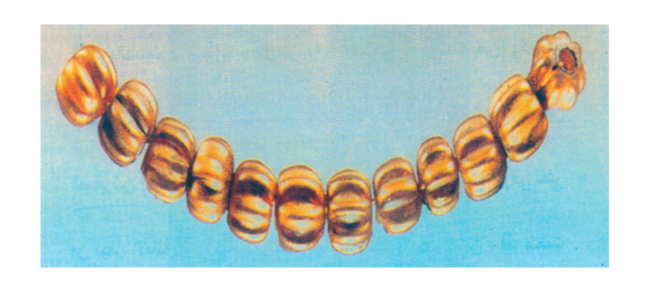
٧– تماثيل صغيرة للآلهة آمون وخنسو
٨– زوجان من الأسود أحدهما من الذهب المطروق .
٩– أحد عشر شكلاً لرأس منقوشة من الصخور .
١٠– مجموعة من الجعارين المغطاة بالذهب .
١١– تماثيل أصداف بشكل الودع من صفائح الذهب .
١٢– علامات العنخ «الحياة» .
١٣– طرز مختلفة من التمائم .
١٤– عقود للرقبة .
١٥– إنائين من البرونز مستجلبة من العالم الهلنيسني .
١٦– صندوقان خشبيان صنعا بالمخرطة .

وهذه المحفوظات مصنوعة في الغالب من الذهب أو الذهب المطعم بالزجاج كما صنعت أخرى من الفضة أو البرونز أو الحجارة الكريمة أو الخشب، وعكست النقوش عليها درجة عالية من الإتقان المحلي مع تأثير هلنستي واضح مما دفع بعض الباحثين لترجيح وجود بعض صاغة الذهب من الإغريق في مروي في القرن الأول قبل الميلاد . «صورة رقم ١١»

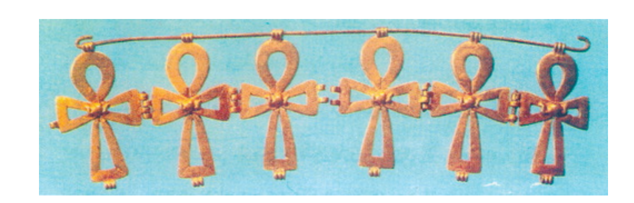
النقش والتلوين

عرف المرويون وأجادوا فن النقش الغائر والبارز على الحجارة والمعادن والفخار، وأخذت النقوشات المتبقية على جدران المباني والمعابد والمقصورات الجنائزية مشاهدها من موضوعات دينية تكاد تكون متكررة المضامين، والمشهد الأكثر تكراراً على نقوشات جدران المعابد عادة ما يظهر الملك واقفاً بمفرده أو في معيته أفراد أسرته الزوجة والأبناء في حماية الإلهة إيزيس التي تقف خلفه وهو يواجه موكباً من الآلهة يقودهم آمون أو أبيدماك .

أما المشهد المكرر على جدران المعابد الجنائزية، الملحقة عادة بواجهة الهرم، فيظهر الملك المتوفي جالساً على كرسي العرش يستقبل موكباً، «صورة رقم ١٢» ومن المشاهد المكررة أيضاً على جدران المباني والمصوغات الذهبية منظر للإله أو الملك الحاكم بين قدميه مجموعة من الأسرى في أوضاع مهينة وهو ممسك بشعور رؤوسهم مجتمعة بإحدى يديه ويضرب عليهم

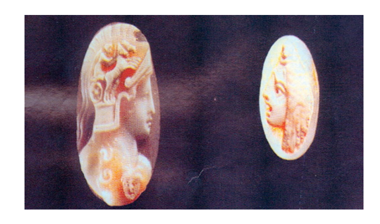




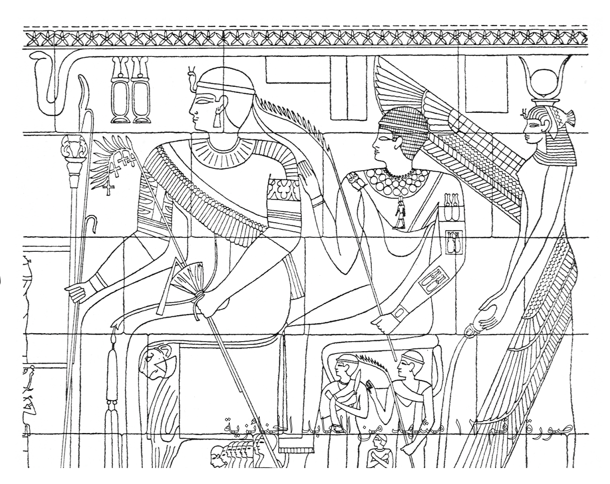








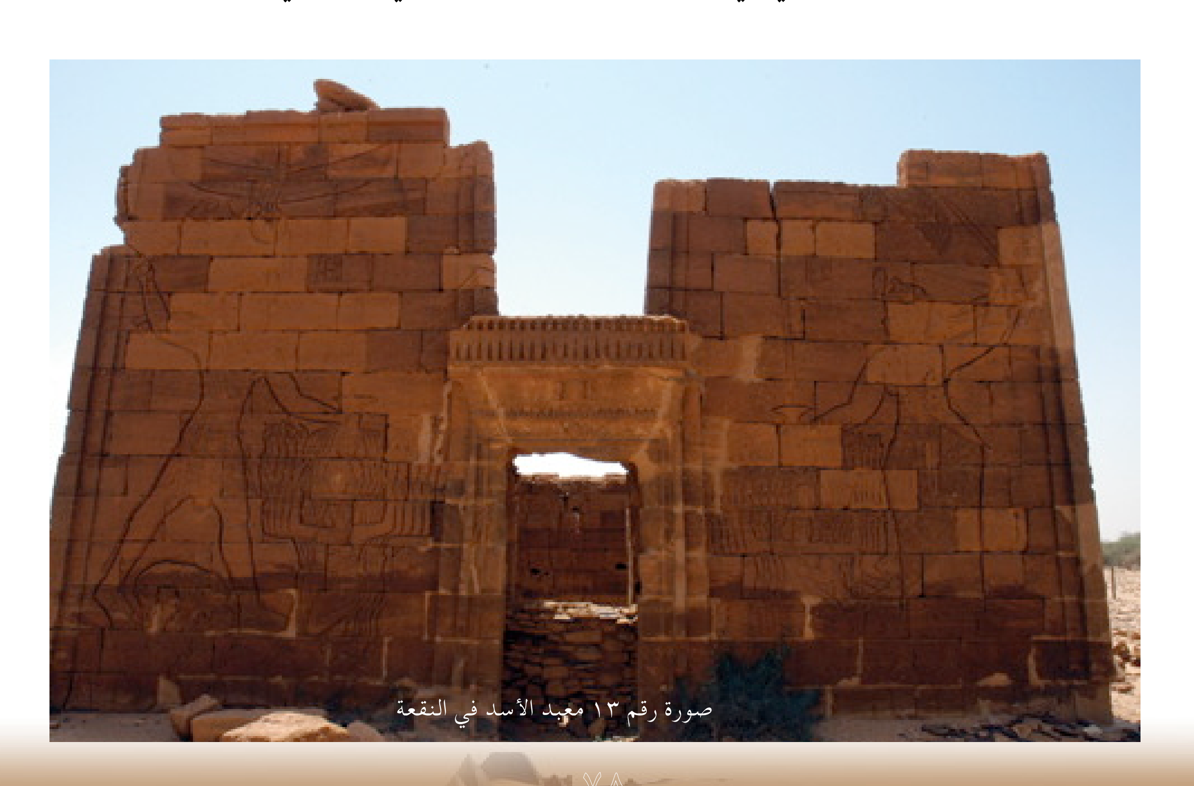
صورة رقم ١١ نماذج من مقتنيات كنز أماني شاختي


صورة رقم ١٢ مشهد من المعابد الجنائزية

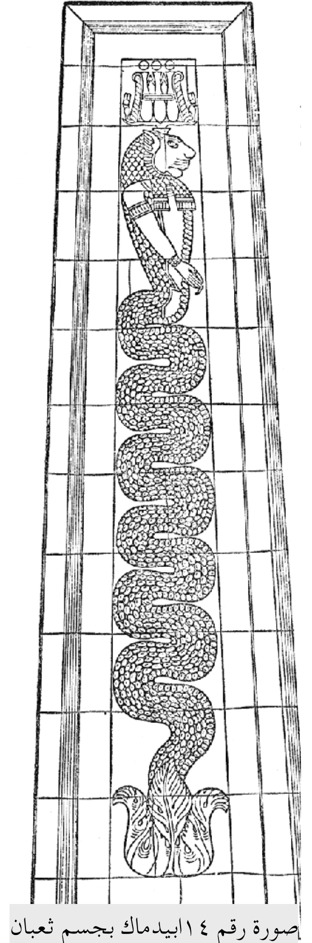
بسيف أو فأس بيده الأخرى. (صورة رقم ١٣)

وإن كانت هذه المشاهد الدينية مستوحاة في جملتها من النمط المصري القديم والعقائد الدينية المصرية، فقد أبرزت أيضاً أشكال المرويين المتميزة في أزيائهم الخاصة كما برزت في المشاهد أشكال آلهة محلية أبرزها أبيد ماك، وأشهر صور هذا الاله منقوشة على جدران معبديه في المصورات والنقعة، وفي معبد المصورات نقش على الجدارين الشمالي والجنوبي أبيدماك، برأس أسد وجسم إنسان يقود صفاً من الآلهة بينهم آمون وحورس وإيزيس وهم يستقبلون الملك وأفراد من أسرته وهم يتقربون لهذه الآلهة التي تباركهم وتبارك عهودهم.

وفي معبد الأسد في النقعة ثلاثة مشاهد تستحق التأمل. المشهد الأول منقوش على واجهتي بوابة المعبد ويظهر الملك نتكامني في ناحية وزوجته الكنداكة آماني توري في الناحية الأخرى من


صورة رقم ١٣ معبد الأسد في النقعة


صورة رقم ١٥ صورة الجدار الجنوبي


صورة رقم ١٤ابيدماك بجسم ثعبان

البوابة في مشهد الإمساك بالأسرى أو الأعداء وقتلهم بالسيف أوالفأس، (صورة رقم ١٣) وإن كان جوهر المضمون مأخوذ من مشاهد مصرية قديمة تعود لعهد الامبراطورية المصرية، غير أن الفنان كان واقعاً في إظهار الأشكال والأزياء المحلية للملك والملكة، وعكست صورة الكنداكة وهي مكتنزةالجسم- مقاييس الجمال التي كانت سائدة بين المرويين.

وعلى وبوابة هذا المعبد نقش آخر على طول حافة البوابة وهو للإله أبيدماك برأس أسد يعتلي رأسه تاجه المعروف، أما الجسم فهو لثعبان ينبت من زهرة اللوتس، «صورة رقم١٤» والمشهد الثاني على الجدارين الشمالي والجنوبي للمعبد يظهران الملك نتكامني والملكة الكنداكة أماني توري وابنهما ارخنخير يتعبدون في مواجهة صف من الآلهة يقودها أبيدماك. «صورة رقم١٥»

وعلى الجدار الغربي حيث المشهد الثالث نقشت صورة فريدة للإله أبيدماك بثلاثة أوجه مستقلة ومتداخلة أحدها يتجه ناحية الغرب أما الوجهان


صورة رقم ١٦
ابيدماك ذو الوجوه
والاذرع المتعددة

الآخران فأحدهما يتجه ناحية الشمال بينما يتجه الآخر ناحية الجنوب، كما تبرز من جسد أبيدماك أربعة أذرع بشرية، «صورة رقم ١٦» وفي وضعه ذلك كان أبيدماك يستقبل أفراد الأسرة المالكة من الجهتين،



صورة رقم ١٧ لوحات القرابين

وقدر اركل «Arkell» آن الإله ذو الوجوه والأذرع المتعددة ناتج من تأثير هندي وصل للمرويين عبر مملكة آكسوم المجاورة« ٨ » وفي تقديرنا أن الشكل من ابتكار الفنان المروي الذي أراد أن يرمز لقدرات هذا المعبود على التعامل مع جهات مختلفة وفي ذات الوقت.

وبجانب النقش على جدران المعابد بقيت في مدافن المرويين الكثير من لوحات القرابين المنقوشة وعلى حوافها كتابات منقوشة باللغة المروية ويتوسطها نقش يصور الإله انوبس والإلهة نفتيس وهما يصبان قربان الماء في آنية موضوعة على منضدة وآحياناً يغيب مشهد الإلهين ويبقى نقش يصور قرابين الخبز والماء المقدمة لروح الميت.« صورة رقم ١٧ »

بجانب نقش المشاهد ذات الطبيعة الدينية في آثار المرويين بقي القليل من مشاهد الحياة العامة وجل ما وجد من ذلك نقش على الفخار، وجدير بالذكر أن المرويين في عهودهم المتأخرة أنتجوا أفضل أنواع الفخار في العالم وقتها، خاصة في شمال المملكة.

وتنوعت وتعددت المشاهد المنقوشة على أواني الفخار، كما ظهرت عليها أحياناً بعض المؤثرات الخارجية الإغريقية الرومانية، وقد زين المرويون فخارهم بصور فروع النباتات، والأشكال البشرية والحيوانية ومشاهد الأسرى المعهودة والرعي.(صورة رقم ١٨)



صورة رقم ١٨ فخار مروي



صورة رقم ١٩ خربشات على جدران معابد المصورات

وأخيراً نذكر خربشات المرويين على جدران المعابد حيث نقشت أشكال لحيوانات مختلفة منها الأفيال والحصين والزراف والكلاب، ويبرز بين الخربشات على جدران السور الكبير في المصورات نقش لأبيدماك ونقش اخر لمشهد زواج مقدس. (صورة رقم ١٩)

أما بالنسبة لفنون التلوين فقد أدركها المرويون وأجادوا التعامل مع الألوان المائية، وإِن لم يبق من ذلك غير آثار قليلة ومتفرقة وباهتة، بفعل الزمن، غير أننا نجد فيما بقي دلالة على أنهم أعطوا تماثيلهم ونقوشلاتهم وصور الأشخاص وأزياؤهم ومساكنهم وأهراماتهم، مسحة إِضافية من الجمال بتلوينها بما يناسبها ويظهر تفاصيلها.

العمارة الدينية

كما بينا في الفصل (الأول) فإن المملكة المروية قامت وارتكزت في مسيرتها الطويلة على أساس من المعتقدات الدينية الوثنية. ولرغبتهم في إرضاء الآلهة التي آمنوا بها والتقرب إليها والفوز بالخلود الأبدي بعد الموت كرسوا جل جهدهم في اتقان العمارة الدينية، المعابد والمدافن، دون غيرهما. وفي ذلك لم يختلف المرويون عن جيرانهم المصريين الذين جاءت معظم آثارهم الباقية إفرازاً طبيعياً لتلك المعتقدات.

المعابد

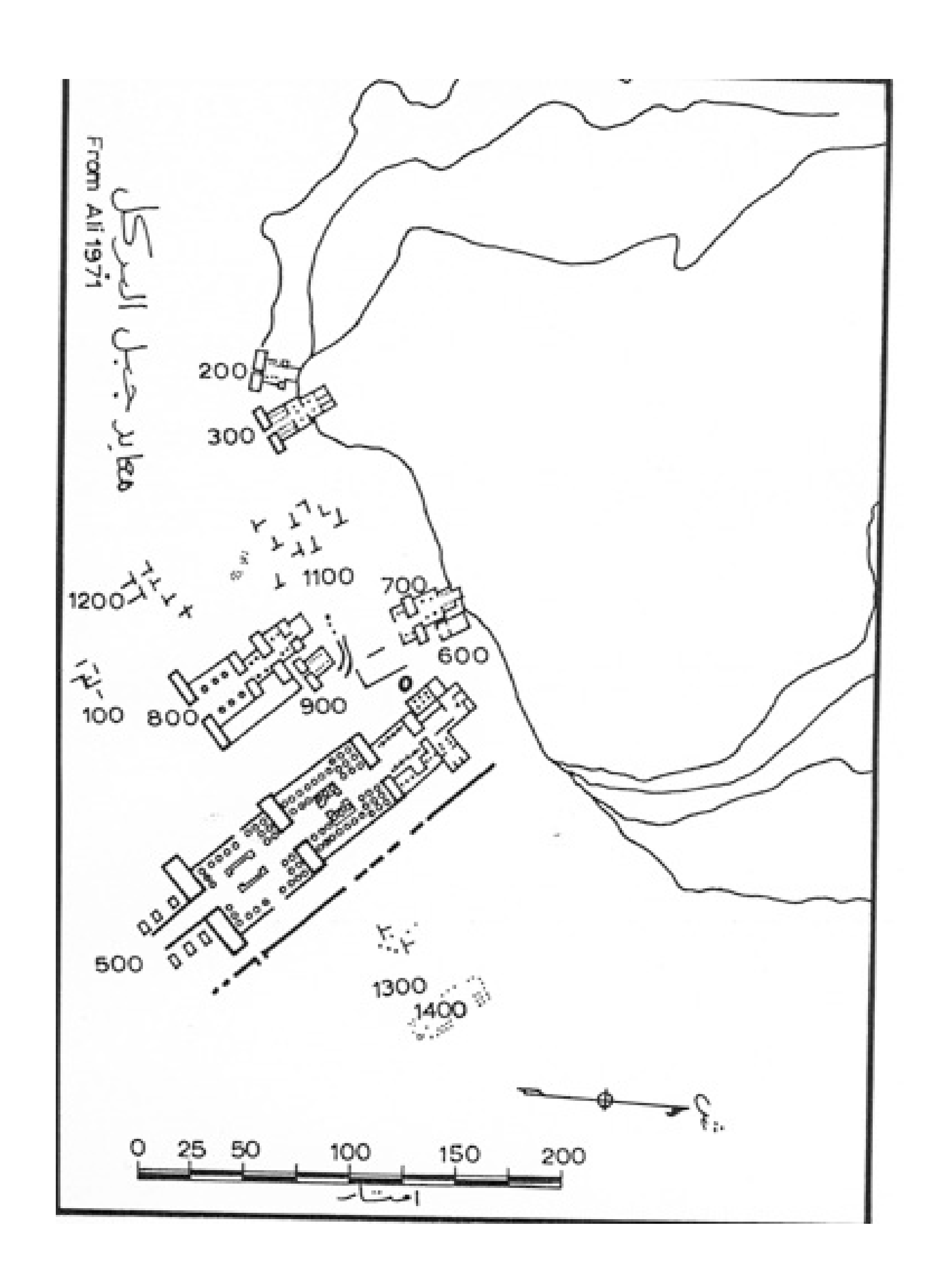
وإن شيد المرويون العديد من المعابد ذات الطرز المعمارية المختلفة غير أن طرازين من هذه المعابد قد سادا وتأكدت نسبتهما لأكبر معبودين قدسهما المرويون –الإلهين آمون وأبيدماك– كما سنرى.

معابد آمون طرزها وانتشارها :

عرف الجزء الشمالي من السودان فن العمارة الديني المصري قبل قيام مملكة مروي، ويرجع ذلك لعهدي الدولتين المصرية الوسطى والحديثة، وكشف التنقيب بصفة خاصة عن معابد «آمونية» سبق وأن شيدت ابان استعمار الدولة المصرية الحديثة لشمال السودان، ومواقع تلك المعابد كانت في عمارة غرب وارقو وصلب والكوة وصنم أبودوم والبركل.

وعند قيام الدولة المروية «الكوشية» كانت تلك المعابد قد هجرت وغشيها النسيان، الشاهد على ذلك تجاهل ذكرها في لوحات تتويج ملوك مروي الذين كانوا يطوفون بالمعابد القائمة في الشمال أثناء مناسبة تتويجهم، كما يؤكد نقل نصب معبد آمنوفس الثالث من صلب إلى البركل وصنم أبودوم أن ذلك المعبد كان مهجوراً تماماً. واتخذ المعبد الآموني في مصر طابعاً معمارياً مميزاً شيدت على منواله معابد المملكة المروية، وإن جاءت أقل فخامة من نظيراتها في مصر. وفيما يلي وصف موجز لأبرز السمات المعمارية لمعابد آمون في مصر:

١– واجهة هائلة تتكون من صرح ذو برجين يتوسطهما باب يؤدي إلى داخل



صورة رقم ٢٠ معابد البركل

المعبد، وتتخلل الواجهة الأمامية فجوات رأسية تثبت بها ساريات الأعلام، ويحتوي كل برج على عدد من الغرف وعلى درج يقود إلى السطح.

٢- يقود باب الصرح إلى فضاء مكشوف يليه بهو أو بهوان مسقوفان، وتتفاوت كثافة الأعمدة في القاعات والأبهاء من معبد لآخر.

٣- يتكون الجزء الأخير من المعبد من الحجرات المقدسة وقد يضاف إلى جانبي الحجرات المقدسة من الخارج عدد من الغرف أو المخازن.

٤- يخرج من المعبد أو يؤدي إليه طريق طويل تحفه النصب المختلفة، وأهمها تماثيل الكباش الجاثية، ويخترق هذا الطريق أحياناً بوابات ضخمة أو «أكشاك» (استراحات معابد).

٥- يحيط المعبد سور يحدد حرمه وقد يضم بين جدرانه بركة أو حديقة. «٩»

وبعد قيام المملكة المروية كان من البديهي أن تزدهر المعابد الآمونية لأنها بدأت دولة آمونية بحق، واعتقد المرويون أنهم انتصروا تحت رايات هذا الإله، فتسامت مكانته في عقائدهم بصورة شبيهة بتلك المكانة التي حققها «آمون رع» في مصر عقب نجاح أمراء طيبة في طرد الهكسوس من مصر.

وانتشرت معابد آمون في المملكة حول مركزين رئيسين أولهما في الشمال ومحوره نبتة العاصمة الدينية وثانيهما في الجنوب ومحوره مروي العاصمة الملكية.

وفي الفترة المروية الأولى (٧٥٠-٥٩١ق.م) انحصر تشييد معابد آمون في محور المملكة الشمالي ولم يشيد أي معبد منها في محور المملكة الجنوبي، ويذكر من تلك المعابد معبد آمون الكبير في البركل، الذي شيده بعانخي عقب عودته من مصر كما ازدهر بناء هذه المعابد في عهد تهارقو في البركل وصنم وأبودوم والكوة وأرقو. «صورة رقم٢٥»

وصارت هذه المعابد التي شيدها تهارقو مع معبد البركل الكبير مراكز تابعة للإله آمون في الشمال كما صار لهذه المراكز بجانب الأهمية الدينية أهمية سياسية خاصة ارتبطت بإتمام مراسم تتويج الملوك.



وفي الجنوب في محور مروي لم تكشف أعمال التنقيب عن معابد آمونية إلا في القرن الأول قبل الميلاد، ولا نجد تفسيراً لذلك إلا في الافتراضات الآتية:

أولاً: أن المعابد الآمونية في الشمال، التي شيدها بعانخي وتهارقو قامت كلها في مراكز آمونية سابقة يرجع تاريخها لعهد الدولة المصرية الحديثة التي استعمرت شمال السودان.

ثانياً: أن معابد آمون في الشمال ارتبطت باستقبال الملوك حديثي التتويج ولعل هذا المفهوم جعل المرويين يحجمون عن تشييد معابد لغير تلك الغاية.

ثالثاً: جاءت فترة بناء معابد آمون في مروي وحولها بعد تعذر رحلة الملوك للشمال لإكمال مراسم تتويجهم للمخاطر التي ظهرت في الطريق بين مروي ونبتة، فهل أصبحوا يتوجون ملوكهم في الجنوب خلافاً للتقاليد القديمة.

طرز المعابد الآمونية:

اختلفت طرز المعابد الآمونية المروية كما تفاوتت درجاتها من حيث الأهمية، ويشمل التباين بعض الخصائص مثل الاختلاف في مواد البناء وتعدد قاعات الأعمدة وكثافة الأعمدة فيها وعدد الحجرات وترتيبها وما ألحق بكل معبد من صروح ونصب، وبالرغم من الاختلافات الصغيرة والكبيرة في تصميم هذه المعابد يمكن تصنيفها من حيث التصميم والأهمية ضمن فئة واحدة من فئتين رئيسيتين، الأولى تشمل المعابد الأمونية الرئيسة ذات الطابع الطيبي –نسبة إلى طيبة في مصر الفرعونية– والفئة الثانوية ذات الطابع العمراني المحلي المبسط.

فئة المعابد الرئيسة:

تضم هذه الفئة معبد البركل «B 500» الكبير ،ومعبدا تهارقو في الكوة «A,B»، ومعبد آمون الكبير في المدينة الملكية في مروي «M260». «صورة رقم٢١»

واشتركت هذه المعابد في سمات معمارية متقاربة. ومن ذلك.. يشاهد الزائر من على البعد عدداً من تماثيل الكباش الجاثية على جانبي الطريق المؤدي إلى المعبد.. ويتصدر واجهة المعبد صرح هائل من برجين هائلين يربط بينهما باب المعبد الرئيسي، ولم يقتصر دور هذه الصروح



صورة رقم ٢١ اثار معبد آمون في مروي

على إضفاء الإجلال المعماري على المعبد وحسب وإنما نقشت على واجهتي صرح المعبد مشاهد ضخمة جعلت منها لوحة كبيرة تستوقف بجلالها الزائر قبل ولوج المعبد .

وبعد ولوج هذا الباب يجد الزائر نفسه في بهو غير مسقوف به بابان جانبيان، بجانب باب المدخل الرئيسي، وأعمدة مستديرة القواعد موزعة في خطوط مستقيمة قريبة وموازية للجدران، وكان بهو معبد آمون نوتي، في مروي أكبرها مساحة إذ بلغت أبعاده (٦٤×٢٠م)، يليه بهو معبد آمون الكبير في البركل وأبعاده (٤٢×٢٩م)، وتقاربت مساحات أبهاء المعابد الثلاثة الأخرى في الكوة وصنم وأرقو ومتوسط أبعادها (٢١×٢٢م) .

وكانت الجدران الداخلية لهذه الأبهاء مزينة بمختلف المشاهد، وإن ذهب الكثير منها نتيجة للدمار الذي أصابها فإن ما تبقى منها مثلاً على جدران معبدي تهارقو في الكوة وصنم، يشير إلى أن المشاهد التي كانت منقوشة ضمت مناظر احتفالية ومناظر أخرى ترمز لقوة الملك وبطشه بالأعداء والأسرى .

وكانت هذه الأبهاء مستودعاً للوحات الملوك وتماثيلهم كما وجد في معظمها قاعدة عرش

حجرية ، ورجح د. حاكم أن العرش الذي كان قائماً في بهو المعبد كان مخصصاً لجلوس الملك خاصة في مناسبات التتويج.« ١٠ »

إن أهمية هذه الأبهاء في المعبد الأموني لم تقتصر على الشعائر والطقوس الدينية بل لعلها قامت لأغراض سياسية واجتماعية أيضاً، فالمكان كان بمثابة « حدائق » قصر الرئاسة حيث تتم مراسم التتويج، ونرجح أيضاً أن هذه الأبهاء كانت المكان الوحيد في المعبد الأموني الذي يسمح للخاصة دون الأسرة المالكة وربما العامة بدخولها، وتأمل المعروض فيها من النصب والسجلات الملكية ولعلها ولهذا السبب لم تغط بسقف، كما زودت ببابين إضافيين لتسهيل انسياب الجموع في المناسبات الجامعة.

بعد المرور ببهو الاحتفالات يصل الزائر إلى ما يعرف بقاعات العمد « قاعة أو قاعتان » وتميزت هذه القاعات المسقوفة بكثافة الأعمدة. وأهم ما يميز هذه القاعات، كما يستدل مما بقي على جدران معبدي تهارقو في الكوة وصنم، المشاهد الاحتفالية المبهجة، وأبرزها مشهد « جوقة المعبد الدينية » التي ضمت عازفين مزودين بمختلف الآلات الموسيقية مع منشدين يرددون التراتيل الدينية » « ١١ »، وأخيراً قامت في نهاية المعبد، حجرة المحراب، أي « قدس الأقداس » وكانت تحف بالمحراب حجرات أخرى متباينة.

لقد أصاب الدمار الشديد هذه الحجرات الهامة في كل المعابد ولم يبق فيها سوى اليسير من المشاهد في معبد تهارقو الجديد في الكوة، وفيها صور الملك وهو يتعبد أمام الإله «آمون»، ونرجح أن الخلوة الملكية التي تكرر ذكرها في لوحتي الملكين آمون نوتي يركي ونستاسين كانت تتم في إحدى هذه الحجرات.

المعابد الآمونية الثانوية

لم يقتصر قيام معابد آمون في محوري المملكة على تلك الفئة من المعابد الرئيسية التي أتينا على ذكرها إذ قامت في شمال المملكة وجنوبها، وعلى مدى القرون المتعاقبة، معابد آمونية أخرى أقل فخامة من المعابد الرئيسية وانعدمت الإشارة إليها في نصوص اللوحات الملكية. ويعتبر ثانوياً كل معبد انطبقت عليه كل أو بعض الصفات الآتية:

١– أن المعبد المعني لم يذكر ضمن معابد التتويج.

٢– أن المعبد المعني كان أقل فخامة من معبد رئيسي آخر كان قائماً معه في نفس الموقع.

٣– أن الآثار المتبقية في الموقع الذي شيد فيه المعبد لا تعكس أهمية خاصة بموقعها.

والمعابد الثانوية التي تحمل كل أو بعض هذه الصفات في محور نبتة هي معابد البركل الأربعة (B200, 300, 800,700) ومعبدي الكوة (A,B)، ومعبد العمارة، أما المعابد الثانوية في محور مروي فتضم المعابد القائمة على جانبي الطريق إلى معبد آمون نوتي في مروي (M.260) ومعبد (E) في ود بانقا ومعبدي النقعة. (N100,200)

ونسبة للتباين الشديد في الطرق التي اتبعت عند تشييد هذه المعابد والدمار الشديد الذي أصاب بعضها فقد بات من المستحيل تقديم دراسة متكاملة تمثلها جميعاً مثلما فعلنا في حالة المعابدالرئيسية، ولذلك نقدم وصفاً موجزاً لكل من المعابد المذكورة.

١– معبدا الصخر في البركل: (B300, 200)

المعبدان المذكوران نحتا في الصخر عند قاعدة جبل البركل، ونواة المعبد الأول ترجع إلى عهد الدولة المصرية الحديثة في كوش، اعتنى تهارقو بهذا المعبد ونحت فيه حجرات إضافية حتى بلغ طولها ١١٥ قدماً في عمق الجبل وزينها بنقوشاته.

ونحت تهارقو معبداً آخراً في جبل البركل ولا يبعد كثيراً عن المعبد السابق وقد بلغ عمقه ٥٠ قدماً ويتكون من قاعة وثلاثة حجرات. وأخيراً تحول المعبد إلى مكان للسكن في أواخر الأيام

٢– معبد البركل: (B 800)

مر هذا المعبد بمرحلتي تشييد– الأولى سابقة لعهد بعانخي، والثانية أعقبت غزو الفرعون المصري بسمتيك الثاني لنبته في عام ٥٩١ق.م– وفي المرحلة الأولى لم يكن المعبد سوى حجرتين مبنيتين بالطوب اللبن، وفي مرحلة البناء الثانية أضيفت للمعبد حجرتان وبرج للواجهة كما أضيف له عدد من الحجرات الجانبية. وأخيراً تحول المعبد إلى مكان للسكن في أواخر أيام المملكة.

٣– معبد البركل: (B 700)

مر هذا المعبد بمرحلتي بناء أيضاً ترجع أولاهما للفترة المروية الأولى، والمرحلة الثانية ترجع للقرون الأولى قبل الميلاد، شيد المعبد الملك المروي اتلانرسا (٦٥٣–٦٤٣ق.م) وكان هذا

المعبد، الذي شيد بالحجر بسيطاً في تكوينه إذ اقتصر على حجرتين وبرج في الواجهة، وفي مرحلة التجديد الثانية أضيف إليه دهليز وحجرة ثالثة.

٤- معبدا الكوة :(A, B)

هما معبدان متجلوران أساسهما يرجع للعهد المصري في كوش وتم تجديدهما في العهد المروي، أما معبد (A) وأبعاده (١٧X٣٨م) فقد صانه تهارقو وأضاف إليه حجرتين وبرج في الواجهة، أما معبد (B) وأبعاده (١٥X٢٧م) فقد أعيد بناؤه في القرن الثاني الميلادي وبنيت حجرتاه الأماميتان بالطوب اللبن بينما استعمل الحجر في بناء كتوف أبوابه وقدس أقداسه.

٥- معبد آمون عظيم النقعة :(M.100)

وبين المعابد الآمونية الثانوية التي قامت في محور مروي يبقى معبد النقعة الذي شيده الملك نتكامني في نهاية القرن الأول قبل الميلاد أو بداية القرن الأول الميلادي المعبد الوحيد الذي لا يساورنا شك في نسبته للإله آمون، والفضل في ذلك يرجع للنصوص والصور المنقوشة على بواباته والتي ما تزال مقروءة.(صورة رقم٢٢)


صورة رقم ٢٢ معبد آمون في النقعة

يتكون هذا المعبد من قاعتين أماميتين وتسع حجرات صغيرات، وللوصول إليه كان على الزائر أن يصعد درجاً حجرياً وعبر طريق تحفه تماثيل اثني عشر كبشاً جاثياً و« كشك » .

٦- معابد أخرى

هناك معابد أخرى في محور مروي لم يعد من المؤكد نسبتها لمعابد آمون منها معبد (M 600) في مروي وأربعة معابد أخرى صغيرة كانت قائمة في الطريق القريب من المعبد الآموني الرئيسي ويقال مثل ذلك عن معبد ودبانقا (E)، وهو معبد مبني بالطوب الأحمر ويتكون من قاعة ذات عمد وبهوين وثلاث حجرات . »

وأخيراً فإن هذه المعابد الكثيرة الرئيسية والثانوية، التي أحصيناها لا تمثل سوى ما اكتشف من معابد، وفي اعتقادنا أن أرض مروي مازالت حبلى بالكثير من الآثار، ربما تكون من بينها معابد آمونية أخرى، ونلفت نظر الباحثين بصفة خاصة لموقع النقعة الذي تدل الأكوام البارزة فيه على آثار مازالت مخفية .

وتبقى ملاحظة أخيرة هي أن طبيعة الشعائر الاحتفالية والدعائية لمعابد التتويج فرضت على المعماريين نمطاً هندسياً يفي بذينك الغرضين، ولذلك أعد طريق الإله الذي تسير فيه المواكب وشيدت الأكشاك، وبقيت القاعةالأولى المكشوفة مسرحاً لعرض تماثيل الملوك ولوحاتهم وللمشاهد المنقوشة على جدرانها التي تعكس قوة وبطش الملوك، وإن البنائين سواء أولئك الذين استجلبوا من مصرأو الوطنيين نجدهم استغلوا مختلف المواد في بناء تلك المعابد –الحجر والطوب الأحمر والطوب اللبن .

معابد الأسد:

مجد المرويون معبوداً آخراً لم تكن له جذور في مصر هو الإله المعروف بالاسم المروي « بدمك / أبدمك / أبرمك أبيدماك » ورمزوا له بتماثيل الأسد وصوروه بالشكل المركب من جسم انسان ورأس أسد، ودلت آثار هذا المعبود المتناثرة في محور المملكة الجنوبي على مشاركته المؤكدة للإله آمون في العقائد والشعائر الدينية لدى المرويين، وابتداع إله يحمل صفات الأسد ويرمز له بشكله لاشك مستوحى من البيئة المروية حيث ظلت الأسود تجوب بقاع الأقاليم القريبة

من عاصمة المملكة القديمة حتى القرن التاسع عشر.

وأعظم آثار أبيدماك المتبقية بحالة جيدة نسبياً معبدان: أحدهما معبده في المصورات ويؤرخ له بالقرن الثالث قبل الميلاد، وثانيهما معبده في النقعة ويؤرخ له ببداية القرن الأول الميلادي، وعلى غرار هذين المعبدين سنجد العديد من معابد الأسد في مروي والمصورات والنقعة وفي كثير من المواقع الأخرى المنتشرة في البطانة. «١٢»

وبخلاف معابد آمون تميزت معابدالأسد بالبساطة وقلة المباني بل تكونت في معظم الأحيان من حجرة واحدة وصرح في الواجهة، وبين المعابد الكثيرة التي عثر عليها في مروي وفي مواقع أخرى في البطانة ويظن أنها معابد للأسد نظل متأكدين من ثلاثة فقط، هي:

١- معبد الأسد في مروي

شيد هذا المعبد فوق تل من «خبث» الحديد إلى الشرق قليلاً من سور المدينة الملكية، وتكون المعبد من غرفتين كان الوصول إلى أولاهما يتم عبر درج حفت جانبيه تماثيل الأسود، وما أكد أنه معبد للأسد وجود هذه التماثيل ولوحة منقوشة باللغة المروية تحمل اسم «أبيدماك» كما وجد اسم الملك تفرديماني منقوشاً على قاعدة حجرية، وإن كان هذا الملك هو الذي بنى المعبد فهو يشير إلى أن تاريخ التشييد يعود إلى منتصف القرن الثالث الميلادي.

٢- معبدا الأسد في النقعة والمصورات:

بقي في النقعة والمصورات أفضل نموذجين لمعابد الأسد في المملكة وذلك نسبة للحالة الجيدة التي مازالت عليها آثار المعبدين.

أما بالنسبة للمعبد الأول في النقعة، فإن الجدران الثلاثة وبرج الواجهة مازالا قائمين، وإن فقد سقف المعبد فإن النقوشات البارزة والغائرة مازالت واضحة ومعبرة، والمعبد عبارة عن حجرة واحدة شيده الملك نتكامني وزوجته أماني توري في نهاية القرن الأول قبل الميلاد أو بداية القرن الأول الميلادي، وقد بقي لهما نقشان كل واحد منهما على جانب من برج الواجهة وهما يدمران الأسرى والأعداء، ويشاهد على جدران المعبد صور أبيدماك وهو يتقدم صف الآلهة ويقدم للملك الصولجان رمز الملك مثلما يفعل آمون في معابده. (صورة رقم ٢٣)

أما المعبد الثاني في المصورات والذي أعاد بناءه وترميمه البروفيسور هنتزا حديثاً فقد كان شبيهاً بمعبد الأسد في النقعة من حيث التصميم المعماري، ولحسن الحظ فإن جداره الجنوبي كان



صورة رقم ٢٣ معبد الأسد في المصورات الصفراء



مشهد من واجهة معبد الاسد في المصورات

قد سقط في الماضي البعيد، وبقيت الواجهة المنقوشة منه راقدة ومحفوظة على الأرض الرملية تحتها، وحينما أعيد رفع هذا الجدار كشفت النقوشات المكتوبة بالهيروغليفية المصرية والتي يرجع تاريخها لعهد الملك أرناخمني كشفت عن جوانب مهمة في الديانة والتاريخ المروي. «١٣»

وغير هذه المعابد فمن الواضح من الآثار المتبقية في أماكن مختلفة أن معابد الأسد كانت ذات انتشار واسع في محور المملكة الجنوبي، والشاهد على ذلك وجود بقايا مبان شبيهة بمعابد الأسد التي ذكرنا، ونرجح أن ذلك عائد إلى أن أبيدماك كان أقرب لنفوس عامة المرويين من آمون إله الدولة الرسمي الذي ارتبطت معابده بالملوك وتتويجهم.

العمارة الجنائزية (المدافن والأهرامات):

وجدت قبور الموتى اهتماماً خاصاً عند سكان السودان القدماء لاعتقادهم المبكر في حياة تمتد بعد الموت.. ولذلك اهتموا بها وزودوا قبور موتاهم بالأعطيات التي أعتقدوا أن صاحب القبر يحتاجها في العالم الآخر، ومن ذلك أواني الفخار والأسلحة وعقود الزينة، وأعظم مدافنهم قبل قيام الدولة الكوشية «المروية» وجدت في كرمة حيث دفن الموتى في المدفنة الشرقية في قبور عليها أكوام هائلة من التراب مع الضحايا البشرية والحيوانية. «١٤»

وحظيت المدافن الملكية في مروي «كوش» بدراسات علمية جادة ومضنية كان رائدها عالم الآثار الأمريكي رايزنر، في مطلع القرن الماضي، وتبين له أن بداية دفن أجداد بعانخي- الفاتح العظيم- كانت مقبرة الكرو، ثم تحول الدفن إلى نوري في الضفة الأخرى المقابلة للكرو، وبعد امتلاء جبانة نوري ظهرت أهرامات في البجراوية والبركل ثم استمر الدفن في البجراوية حتى نهاية العهد المروي.

مقبرة الكرو:

تقع الكرو على ضفة النيل اليمنى على بعد ثمانية أميال جنوب جبل البركل وهي المقبرة الأولى لأسلاف ملوك مروي. وتتكون المقبرة من ثلاثة أجزاء الجبانة الوسطى ودفن فيها اسلاف بعانخي والجبانتان الثانية والثالثة قامتا على جانبي الجبانة المتوسطة وكانتا للنساء. ويتراوح تقدير تاريخ بداية الدفن في هذه المقبرة بين عام ٨٥٠و ٩٥٠ق.م «١٥».

تكونت الجبانة الوسطى من عشرين دفنة ويرجح أن الدفن بدأ فيها قبل بعانخي بقرن من الزمان، ويعنينا أكثر أمر الأربعة قبور الأخيرة وهي للملوك بعانخي « ٧٥١–٧١٦ ق.م » وشبكو « ٧١٦–٧٠٢ ق.م » وشبتكو « ٧٠٢–٦٩٠ ق.م »وتانوتا منى « ٦٦٤–٦٥٦ ق.م » أما الملك تهارقو والذي يأتي ترتيبه قبل الملك الأخير فقد اختار الدفن في مكان جديد يقع على الضفة الأخرى للنهر في نوري.

وحينما شرع عالم الآثار رايزنز في عام ١٩١٩ في دراسة مقبرة الكرو كانت الأجزاء العليا من المدافن قد ذهبت ولم يبق منها سوى أساساتها والقبر نفسه، ويستدل مما تبقى من آثار أن تلك المقابر مرت بمراحل تطور من حيث الشكل كما حدث تغير في عادات الدفن.

بدأت القبور الأولى بسيطة وذات طابع محلي إذ تكونت من حفرة يقطع اللحد في جدارها الغربي حيث يوضع الميت باتجاه شمال وجنوب ويهال عليها التراب ليصبح تلة مربعة الشكل. وفي تطور آخر وضعوا الميت على عنقريب « سرير »، وملفوفاً بكفن من القماش دون تحنيط، كما كانوا يغطون الحفرة ببلاطات كبيرة ثم يهال التراب وتحاط التلة بحوش في شكل حدوة الحصان. وفي مرحلة متقدمة استبدلوا كومة التراب ببناء مسطبة فوق القبر أما الحوش فقد أصبح مستطيلاً مع إضافة غرفة صغيرة إليه تعرف بالمعبد الجنائزي. وفي هذه المرحلة الأخيرة التي شملت قبر بعانخي وخلفاءه تغيرت عادة وضع الجثمان إلى الطريقة المصرية وهي وجهة غربية شرقية.

أهرامات المرويين:

ابتدع المصريون القدماء الهرم وقبروا ملوكهم في جوفه وكانت أهرامات الدولة المصرية القديمة في غاية الضخامة، يذكر منها هرم الفرعون خوفو في الجيزة الذي يعتبر من أعظم ما بنته الأيدي البشرية في الماضي، إذ تبلغ مساحة قاعدته ثلاثة عشر فداناً وارتفاعه خمسمائة قدماً واستعمل في بنائه أكثر من مليوني حجر يزن الواحد منها أكثر من طنين. ولم يكن الهرم المصري أصماً، كما الحال بالنسبة لأهرامات المرويين التي نحن بصددها وإنما احتوى جوفه على العديد من الغرف والممرات التي تؤدي إلى تلك الغرف. وظل الهرم المصري بشكله التقليدي معروفاً لدى الفراعنة طيلة عهد الدولة القديمة والدولة الوسطى وحتى نهاية الأسرة السابعة عشر، وفي عهد الدولة المصرية الحديثة تخلى الفراعنة عن الأهرامات وأصبحت مدافنهم عبارة عن غرف منحوتة في

الصخر فيما عرف بوادي الملوك قرب عاصمتهم طيبة.

وحينما أصبح «الكوشيون» المرويون سادة على وادي النيل في مصر والسودان طوروا مدافنهم بدءاً بعهد الملك تهارقو الذي هجر مقبرة آبائه وأجداده في الكرو وشيد أول هرم كبير في مقبرة نوري الملكية ولكن بخصائص محلية.

إهرامات نوري:

قامت إهرامات نوري على الضفة الأخرى المقابلة لجبل البركل على بعد عشرة أميال إلى الشمال من الجبل وأخذت إسمها من القرية التي تقع بين النهر والهضبة التي شيدت عليها الأهرامات وتضم المقبرة رفات ملوك وملكات كوش من تهارقو«٦٩٠– ٦٦٤ق.م» إلى نستاسين «٣٢٨– ٣٠٨ ق.م» ما عدا الملك تانوتامني الذي دفن في جبانة الكرو.

شيدت الاهرامات على أرض صخرية مرتفعة على هضبتين متوازيتين يفصل بينهما منخفض وعلى الهضبة الغربية قام أول وأكبر أهرامات ملوك كوش «مروي» في نوري– هرم تهارقو. ونظمت المقبرة بحيث إن النساء الملكيات دفن في الهضبة الغربية بينما قامت اهرامات الملوك الرجال في الهضبة الشرقية.

وقد بدأت غرف الدفن، المحفورة في الصخر بدهليز يقود إلى الغرفة التي يسجي فيها جثمان الملك ثم أضافوا حجرة أخرى فأصبحت غرفتان يفضي إليهما الدهليز.

وما يؤسف له أن محتويات إهرامات نوري نهبت تماماً، خاصة في العهد المسيحي كما أنها تتعرض حالياً لعوامل التعرية.

ب – أهرامات البجراوية:

في البجراوية وإلى الشرق من المدينة الملكية «مروي»قامت ثلاثة جبانات، مقبرتان منهما ملكيتان قامتا فوق هضبة من الصخر الجيري هما مقبرة البجراوية الجنوبية ومقبرة البجراوية الشمالية ودفن فيها ٣٤ ملكاً وخمسة ملكات وإثنين من الأمراء «١٦».

١– المقبرة الجنوبية Beg.s:

يفصلها عن المقبرة الشمالية وادي ضيق وتضم المقبرة أكثر من مائتي دفنه ترجع أقدمها لعهد الملك بعانخي (٧٢٠ق.م). ومعظم المدافن بسيطة وهي عبارة عن حفرة عادية ولكن مع التدرج

أصبحت هذه المقبرة تضم مدافن أكثر فخامة عليها مساطب ربما لبعض الأمراء، وأخيراً أصبح في المقبرة ثلاثة أهرامات ملكية دفن في أقدمها أول ملك مروي يبدأ عادة الدفن في البجراوية بدلاً عن نوري وهو الملك «أركا كامني» «٣١٥–٢٩٧ ق.م» والملكين الآخرين هما الملك أمنسلو «٢٩٧–٢٨٤ ق.م» والملكة برتاري. «٢٨٤– ٢٧٥ق.م»

٢– المقبرة الشمالية Beg.n :

تضم هذه المقبرة معظم ملوك مروي وتبدأ بالهرم الرابع في البجراوية ويرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثالث ق.م، واستمر الدفن الملكي في هذه المقبرة حتى نهاية دولة المرويين. (صورة رقم ٢٦)

٣– المقبرة الغربية Beg.w :

ظلت هذه المقبرة مستعملة طيلة العهد المروي منذ بداياته الأولى وحتى نهايته ومدافنها مدمرة تماماً، ولم يكن بينها قبر لملك.. بلغ عدد الدفنات فيها ٧٩٥ قبراً.

ج– أهرامات البركل :

في البركل مجموعتان من الأهرامات، المجموعة الأولى وتضم (١٠) أهرامات خمسة منها كانت لرجال والخمسة الأخرى لنساء، وتاريخها (٣٠٨–٢٢٥ق.م)، والمجموعة الثانية وعددها (١٠) وتاريخها (١٠٠–٢٣ق.م). «صورة رقم ٢٦»

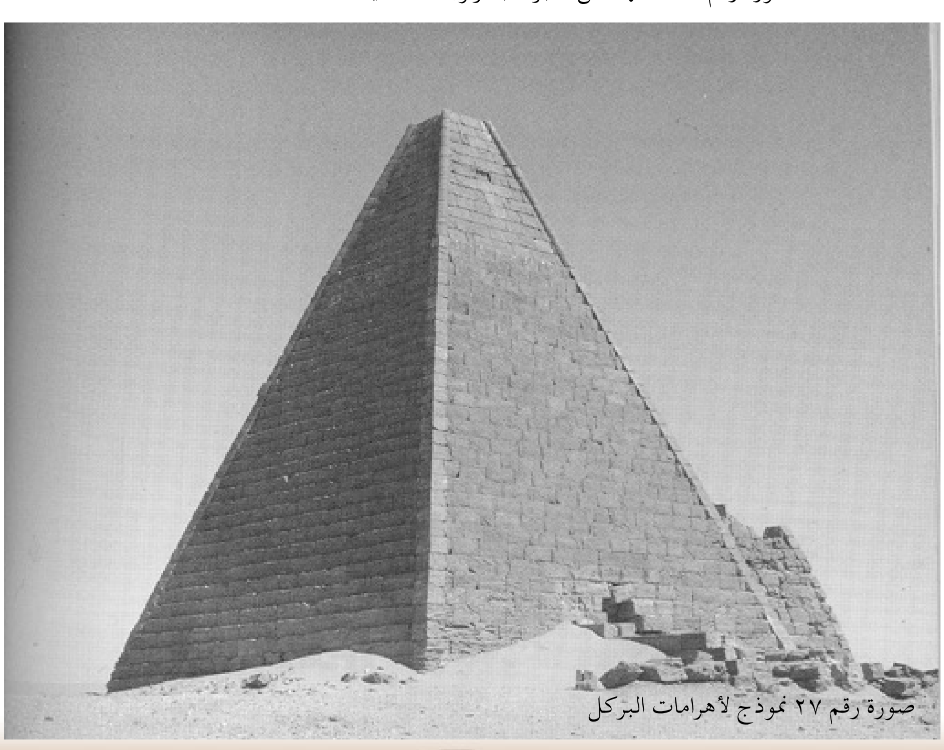
ومازالت مجموعة أهرامات البركل تشكل لغزاً للدارسين، فأي منها لم يحمل اسماً لملك من الملوك، كما أن وجودها بالنسبة لوجود أهرامات البجراوية في ذات الوقت أثار العديد من الأسئلة والاحتمالات، منها هل هي لملوك حكموا المملكة من نبتة أم أن انشقاقاً حدث في المملكة وأصبح لها مركزان أحدهما في نبتة والآخر في مروي، أم أن هذه الأهرامات كانت لأمراء تابعين لقيادتهم في مروي!! «١٧» (صورة رقم ٢٧)

وعموماً فإن أهرامات ملوك السودان لم تكن كلها على نسق هندسي واحد، ولكنها اشتركت في عدة خصائص عامة، ومن ذلك:

١– بخلاف أهرامات المصريين فإن جسم الهرم المروي الداخلي لم يكن مبني من الحجارة، وإنما ردم جوفه بالنفايات وبواقي مواد البناء المختلفة، وأحيط من



صورة رقم ٢٦ مشهد من مقبرة البجراوية الشمالية



صورة رقم ٢٧ نموذج لأهرامات البركل

الخارج بحجارة جيدة القطع تراوح ارتفاع الحجر منها بين ٣٧ و٤١سم، و(٤٠X٦١سم)، أو (٩٤X٥٠سم) المساحة القاعدة، وتدهور المستوى المعماري لهذه الأهرامات في نهايات العهد المروي إذ أصبحت تبنى بالطوب الأحمر.

٢– قام في واجهة معظم الأهرامات، ومن الجهة الشرقية منها معبد جنائزي له صرح عند المدخل زينت واجهته بالنقوشات المعبرة. «صورة رقم»

٣– أما غرف الدفن فقد كانت محفورة في الأرض الصخرية تحت الهرم وكان الدخول إليها عبر درج ينحدر من سطح الأرض إلى المدخل في باطن الأرض، يقود هذا الدرج إلى المقبرة وهي عبارة عن ثلاث غرف، إذا كان المقبور رجلاً، وغرفتان إذا كانت امرأة.

٤– اختلف ارتفاع أهرامات ملوك مروي إذ كان أعلاها ارتفاعاً هرم تهارقو ٥١٫٧٩ متراً، بينما بلغ متوسط ارتفاع بقية اهرامات نوري ١٨٫٢٨ متراً،



صورة رقم ٢٨ نموذج لهرم مدرج من البجراوية

وإن كان ارتفاع بعضها متواضعاً جداً لم يتعد ارتفاعه ١١٫٨٠ متراً، وفي البركل كانت الارتفاعات متواضعة جداً تراوحت بين ٨–١٥ متراً، وفي البجراوية لم يتعد ارتفاع الأهرامات الثمانية أمتار، بينما بلغ ارتفاع أهرامات البجراوية الشمالية نصف ارتفاع أهرامات نوري في المتوسط، وقد تضاءل حجم الأهرامات المتأخرة ليصل ٦ أمتار فقط.

٥– كانت بعض الأهرامات مطلية بالجبص الأبيض.

٦– أكثر ما يميز أهرامات ملوك مروي من ناحية المظهر الخارجي أن بعضها كانت له زوايا متدرجة، بينما بقي البعض دون ذلك. «صورة رقم ٢٨»

الأهرامات والتتابع التاريخي لملوك مروي:

قام ام رايزنر بالتنقيب في كل أهرامات ملوك مروي فواجهته مشكلة تحديد التسلسل التاريخي لأولئك الملوك ومدة حكم كل واحد منهم ، وإزاء هذا التحدي ابتدع رايزنر منهجاً فريداً أوصله إلى بغيته.

وخلاصة نظرية رايزنر نجدها في النقاط الآتية:

١– إن الأهرامات القابعة في أعلى الهضبة أقدم من الأهرامات التي شيدت في أماكن أقل ارتفاعاً.

٢– إن التطور المعماري يعكس الفترة التاريخية لبناء الهرم وبالتالي التسلسل التاريخي له من حيث الأقدمية.

٣– إن دراسة المخلفات الأثرية داخل الهرم تعطي فكرة عن تطور هذه الأشياء وأيها تطور عن الآخر.

٤– وبالنسبة لمدة بقاء صاحب الهرم في السلطة فقد افترض أن أصحاب الأهرامات الأكبر حجماً والأكثر ثراءً بالمخلفات الأثرية حكموا لمدة أطول من غيرهم من أصحاب الأهرامات الفقيرة.

وإن لم يكن رايزنر يمتلك كل المعينات وقتها لتأتي قائمته صحيحة تماماً

فقد نجح في وضع الإطار السليم لذلك التسلسل الذي أدخل عليه كل من العالمين دنم «Dundham» وهنتزا «Hintze» بعض التعديلات بناء على ما توفر لهم من معطيات أثرية إضافية ، اخترنا منها قائمة منتزا كما وردت في شيني ١٩٦٧ Shinnie :

قائمة (هنترا) بأسماء ملوك كوش «مروي»

الاسم	الهرم	التاريخ
١ / كاشتا	كرو ٨	٧٦٠–٧٥١ق.م
٢ / بعانخي «بيا»	ك ١٧	٧٥١– ٧١٦ ق.م
٣ / شبكو	ك ١٥	٧١٦ –٧٠١ ق.م
٤ / شبتكو	ك ١٨	٧٠١– ٦٩٠ ق.م
٥ / تهارقو	نوري ١	٦٩٠– ٦٦٤
٦ / تانوتامني	ك ١٦	٦٦٤– ٦٥٣ ق.م
٧ / اتلانيرزا	ن ٢٠	٦٥٣– ٦٤٣
٨ / سنكامنسكن	ن٣	٦٤٣– ٦٢٣
٩ / انلاماني	ن ٦	٦٢٣– ٥٩٣
١٠ / اسبلتا	ن ٨	٥٩٣– ٥٦٨
١١ / امتالقا	ن ٩	٥٦٨– ٥٥٥
١٢ / مالينكن	ن ٥	٥٥٥– ٥٤٢
١٣ / انلمايا	ن ١٨	٥٤٢– ٥٣٨
١٤ / اماني نتكليتي	ن ١٠	٥٣٨– ٥١٩
١٥ / كركاماني	ن ٧	٥١٩– ٥١٠

١٦/ اماني ستباركا	ن ٢	٥١٠– ٤٨٧
١٧/ سيابقا	ن ٤	٤٨٧– ٤٦٨
١٨/ نخاما	ن ١٩	٤٦٨– ٤٥٣
١٩/ مالوبماني	ن١١	٤٥٣– ٤٣٥
٢٠/ نلخاماني	ن ١٦	٤٣٥– ٤٣١
٢١/ امون نوتي يركي	ن ١٢	٤٣١– ٤٠٥
٢٢/ باسكارين	ن ١٧	٤٠٥– ٤٠٤
٢٣/ حرسيوتف	ن ١٣	٤٠٤– ٣٦٩
٢٤/ ملك غير معروف الاسم	ك ١	٣٦٩– ٣٥٠
٢٥/ اخراتان	ن ١٤	٣٥٠– ٣٣٥
٢٦/ نستاسين	ن ١٥	٣٣٥– ٣١٠
٢٧/ اماني ياخي	ن ؟	٣١٠– ٢٩٥
٢٨/ اركاكامني	بجراوية ج ٦	٢٩٥– ٢٧٥
٢٩/ امنسلو	بج ج ٥	٢٧٥–٢٦٠
٣٠/ برتاري «ملكلة»	بج ج ١٠	٢٦٠– ٢٥٠
٣١/ اماني.. تخا	بجراوية شمال ٤	٢٥٠– ٢٣٥
٣٢/ ارنخاماني	بج ش ٥٣	٢٣٥– ٢١٨
٣٣/ ارقاماني	بج ش ٧	٢١٨– ٢٠٠
٣٤/ تابيرقا؟	ب ج ش ٩	٢٠٠– ١٨٥
٣٥/ .. اوال؟	ج ش ٨	١٨٥– ١٧٠

٣٦/ شنكدختو	ج ش ١١	١٧٠- ١٦٠
٣٧/ ملك؟	ج ش ١٢	١٦٠- ١٤٥
٣٨/ ناقرينسان؟	ج ش ١٣	١٤٥- ١٢٠
٣٩/ تانيدماني	ج ش ٢٠	١٢٠- ١٠٠
٤٠...ر/ خالي	ج ش ٢١	١٠٠- ٨٠
٤١/« .... اماني»؟	ج ش ١٤	٨٠- ٦٥
٤٢/ «اماني خبلو»	بج ش ٢	٦٥- ٤١
٤٣/ اماني شختو	ج ش ٦	٤١- ١٢
٤٤/ نتكاماني	ب ج ش ٢٢	١٢ ق.م- ١٢م
٤٥/ اماني توري	بج ش ١	١٢ق.م- ١٢م
٤٦/ شركرير	ج ش ١٠	١٢- ١٧م
٤٧/ بيكار	ج ش ١٥	١٧- ٣٥
٤٨/ اماني تارقيدي	ب ج ش ١٦	٣٥- ٤٥
٤٩/ اماني تن مميدي	ج ش ١٧	٤٥-٦٢
٥٠/ امانيخاتشان	ج ش ١٨	٦٢- ٨٥
٥١/ تاركنوال	بج ش ١٩	٨٥- ١٠٣
٥٢/ «اماني خاليكا»	بج ش ٣٢	١٠٣- ١٠٨
٥٣/ اريتن يسبخي	ب ج ش ٣٤	١٠٨- ١٣٢
٥٤/ اقركاماني	ج ش ٤٠	١٣٢- ١٣٧
٥٥/اديقتالي	ب ج ش ٤١	١٣٧- ١٤٦

٥٦ / تاكيداماني	ب ج ش ٢٩	١٤٦– ١٦٥
٥٧ / « .... ريقورم »؟	بج ش ٣٠	١٦٥– ١٨٤
٥٨ / ملك؟	ب ج ش ٣٧	١٨٤– ١٩٤
٥٩ / يترتودخاتي	ب ج ش ٣٨	١٩٤– ٢٠٩
٦٠ / اريبخو	بجش ٣٦	٢٠٩– ٢٢٨
٦١ / ترتنيدي	بج ش ٥١	٢٢٨– ٢٤٦
٦٢ / اروتنيدو	بج ش ٣٥	٢٤٦–
٦٣ / تقريدماني	ب ج ش ٢٨	٢٤٦– ٢٦٦
٦٤ / « تاملوريدماني »	بج ش ٢٧	٢٦٦– ٢٨٣
٦٥ / يسبخ اماني	بج ش ٢٤	٢٨٣– ٣٠٠
٦٦ / لخديماني	بج ش ٢٦	٣٠٠– ٣٠٨
٦٧ / مالقربار	بج ش ٢٥	٣٠٨– ٣٢٠

مدافن عامة الناس:

لم يحظ الوجهاء والعامة بالاهتمام الكبير الذي استحوذت عليه إهرامات الملوك. وقد كشف عن بعض هذه المدافن بالقرب من المواقع السكنية ذات الأهمية وغيرها، خاصة في النوبة المروية. وأمثلة ذلك وجدت في كرنوق وشبلول وفرس وجبل عدة وصادنفا. ولأن هذه المدافن تشابهت في كثير من مظاهرها ومعطياتها فقد إخترنا نموذجاً لها مقبرة كرنوق لأنها وجدت بحالة أفضل من غيرها كما أنها حظيت بدراسة متميزة من عللي الآثار ولي «Woolley» ومكايفر «Mak/ver» «١٨»

وتقع مقبرة كرنوق على الضفة الغربية لنهر النيل على بعد ثلاثة أميال من المدينة السكنية قامت المقبرة على ربوة وإتخذت شكلاً بيضاوياً وضمت ثمانمائة قبر. ويتراوح عدد الرفات في القبر الواحد بين الواحدو الأحد عشر رفاتاً.

عكست مقبرة كرنوق تمايزاً عمرانياً وطبقياً إذا إحتلت مدافن الوجهاء وأصحاب الشأن وأقربائهم الجزء الجنوبي من المقبرة بينما حصرت مدافن الفقراء في الجزء الشمالي من المقبرة. ومن ناحية أخرى أمكن تصنيف مدافن المقبرة إلى ثلاثة فئات متمايزة من حيث البنية والمحتويات..

الفئة الأولى... وضمت مدافن الحكام «البشتوات» وأصحاب الألقاب الرفيعة وأقرباؤهم. وتكون القبر في هذه الفئة من جزئين– البناء الفوقي والقبر نفسه. وقبور هذه الفئة عبارة عن حفرة مستطيلة الشكل عمقها متران يتم الوصول إليها بواسطة درج. وكان جثمان الميت يسجي على أرضية الحفرة. وجدران المقبرة في هذه المدافن تطلى باللون للأجزاء الفوقية للمدافن فإن معظمها قد ضاعت معالمها غير أن الآثار المتبقية منها توحي بأنهم كانوا يبنون من الطوب الأحمر شكلاً مستطيلاً فوق القبر ليدل عليه.

وكانت هذه الفئة من المدافن غنية بمحتوياتها التي شملت تماثيل «البا،» والفخار الجيد وبعض الأواني المصنوعة من الخشب والبرونز ولوحات القرابين المكتوبة باللغة المروية.

الفئة الثانية ... اختلفت قليلاً من الفئة الأولى إذ كانت بنية المدافن التحتية والفوقية فيها أقل فخامة.. ومثل ذلك يقلل عن محتوياتها المتبقية. ومدافن هذه الفئة تجاور مدافن الفئة الأولى ومعظم أصحابها يدعون صلة القرابة لأصحاب تلك الفئة.

الفئة الثالثة.... أصحاب هذه المدافن كانوا كلهم من الفقراء الذين لم يمتلكوا مالاً ولاجاهاً مقابرهم لم تكن سوى حفرة مستطيلة لا يزيد عمقها عن المتر الواحد وفيها يشق اللحد حيث يوضع الميت ويهال عليه التراب بعد تغطية الجثمان بالحجارة.

وخلت هذه المدافن من النقوشات ولوحات القرابين ولم يترك مع الميت سوى حجرة من الفخار المحلي الرخيص وهكذا تعتبر كرنوق نموذجاً لمدافن عامة الناس ونموذجاً للتقسيمات الطبقية وما قيل عنها يمكن أن ينطبق إلى حد بعيد على مدافن معاصرة لها في النوبة المروية.

المساكن والقصور:

بنيت مدينة مروي العاصمة من الحجر والطوب الأحمر ولكن هذا لا يعطي نموذجاً صادقاً لما كانت عليه عمارة مساكن غالبية المرويين. وفي حقيقة الأمر لم يبق من آثار مساكنهم إلا القليل. ويرجح أنها كانت في معظمها عبارة عن أكواخ إستعمل في بنائها القش والحطب، وهي شبيهة

بالأكواخ التي تنتشر، في الوقت الحالي، في بعض أجزاء السودان وأفريقيا.

والأثر الكامل الدال على هيئة تلك الأكواخ عثر عليه منقوشاً على كوب. مصنوع من البرونز وجد في كرنوق « ١٩ » وفي النقش صورة لكوخ من القش تعلوا قبته بيضة نعام رمزاً للفأل الحسن والخصوبة.. ومثل هذا الرمز مازال يشاهد في أعلى الأكواخ المنتشرة في شرق وغرب أفريقيا « ولوحظ أن أقدم المباني في مدينة مروي لم تكن سوى أكواخ مستديرة ومشيدة من الخشب والقش.

بجانب هذه الأكواخ بنى بعض العامة منازلهم من الطوب اللبن ونموذجها ما بقي من آثار في جزيرة مينارتي « ٢٠ ».

وبقيت بين آثار المرويين أيضاً مباني أخرى تشبه القلاع مثل المبنى الذي وجد في كرنوق. وبقيت من آثار هذه « القلعة » حتى بداية القرن الماضي ثلاثة طوابق مشيدة على قاعدة مساحتها ٦٦٠ متراً مربعاً.

أما أقدم القصور المعروفة فقد بناه بعانخي في منطقة جبل البركل « B 1200 » وقد ضاعت معالم المبنى الأساسي بسبب الإضافات اللاحقة له.

ويذكر أن الملك حرسيوتف ذكر في لوحته أنه أعاد تشييد بيت الملك الذي أنهار وتكون المبنى أو ما بقي منه من عدة غرف أرضية ودرجات للصعود ربما لطابق أعلى أو للسطوح.

وبين آثار القصور المتبقية يذكر قصر الملكة شنادخيتي في ودبانقا وقصر الملك نتكامني في البركل.

إن إكتمال الحفريات للعديد من المواقع الأثرية السكنية في المدينة الملكية والنقعة، وغيرهما من المواقع مستقبلاً، قد يمكننا من تصور ما كانت عليه مساكن المرويين بطريقة أفضل، ولكن من الشواهد المتفرقة المتوفرة يمكننا القول بتعدد أشكال المباني التي انتشرت في مدن وقرى المملكة، كما تنوعت مواد البناء التي استغلها المرويون في تشييد مساكنهم وقصورهم. لقد إستعملوا الخشب والقش والطين والطوب الأحمر والحجر وربما استعملوا واحداً أو أكثر من هذه المواد في تشييد المبنى الواحد، وتأثر كل ذلك بالبيئة من المناخ والمواد المحلية المتاحة وطبيعة المبنى ومكانة صاحبه.

فنون الكتابة:

كانت المناطق السودانية شمال الخرطوم، والتي اطلقت عليها أو على أجزاء منها أسماء مختلفة في الأزمنة القديمة مثل « تاسيتي » (أرض القوس)، وتانحسي (أرض النحسي)، وواوات، وكوش، ومروي، واثيوبيا ونوبيا، كانت هذه المناطق وثيقة الصلة بحضارة مصر الفرعونية وحضارات الشرق الأدنى والبحر الأبيض المتوسط، وقد أدى ذلك لتداخل حضاري – تأثيراً وتأثراً– ولم تتخلفالمنطقة السودانية عن نظيراتها في مجالات الإبداع الحضاري المبكر.

ومن ذلك أن السودانيين القدماء عرفوا الكتابة ومدلولاتها وأهميتها منذ تلك العصور، ومعلوم أن السودان الشمالي خضع لحكم الفراعنة لمدة خمسة قرون متصلة في ظل الإمبراطورية المصرية، وفي تلك القرون تم تمصير السكان المحليين إلى حد بعيد، وتعرفوا على كتابات المصريين، وإن لم يبق من آثارهم ما يدل على أنهم كتبوا بالهيروغليفية أو تحدثوا باللغة المصرية غير أننا نرجح أن فئات منهم عرفت اللغة المصرية وذلك بحكم انتشار العقائد الدينية المصرية في المنطقة، وأخذ المصريين لأبناء الزعماء المحليين وتعليمهم في مصر للاستعانة بهم وبغيرهم في تسيير شؤون البلاد.

وبعد انهيار الامبراطورية المصرية ورحيل المصريين من السودان الشمالي بثلاثة قرون ومع قيام مملكة كوش « نبتة / مروي » في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد بدأ ملوك السودان يكتبون بالهيروغليفية المصرية، وكانت موضوعات الكتابة في جملتها دينية نقشت على جدران المعابد والمعابد الجنائزية وحجرات الدفن في الاهرامات، كما كتب بها الملوك لوحات تتويجهم وإنجازاتهم، وكانت لوحة بعانخي « لوحة النصر » أول أطول لوحة من ذلك النوع، كما ظلت لوحات خلفائه الملوك تهارقو واسبلتا وانلماني وآمون نوتي يركي وحرسيوتف ونستاسين مكتوبة بلغة مصرية صحيحة، وبعد الملك الأخير لم يعثر على لوحة ملكية مكتوبة بالهيروغليفية المصرية.

والكتابات الدينية والملكية بالهيروغليفية المصرية، التي أشرنا إليها، لا تعني أن كافة أهل السودان وقتها كانوا يتكلمون ويفهمون اللغة المصرية بل كانت لهم لغتهم المحلية الخاصة، وقد أكدت دراسة معاني أسماء ملوك تلك الحقبة ذلك ، ونرجح أن قلة من السكان كانت تلم بمعاني اللغة المصرية خاصة بين طبقات الكهنة والإداريين، كما يعتقد أن الذين كانوا يقومون بالكتابة الهيروغليفية المصرية إما مصريين أو من أهل البلاد الذين تتلمذوا عليهم.

وبدءً من القرن الرابع قبل الميلاد ظهر تدهور واضح في مستوى إتقان المرويين للهيروغليفية المصرية حتى صارت كتاباتهم بها في القرون الأولى قبل الميلاد رموزاً لا معنى لها، وكانت تلك إرهاصات لتبني المرويين لكتابة أخرى أو ابتكار كتابة تخدم أغراضهم، وفي ذلك الوقت حل العصر الهلنيستي (عصر التزاوج بين حضارات الشرق القديمة وحضارة اليونان الوافدة مع غزو الاسكندر الأكبر) ومروي لم تكن بمعزل عما كان يجري حولها فبدأ التأثير الإغريقي فيها وقيل أن الملك المروي ارقامنيس (٢٤٨–٢٣٠ق.م) تلقى تعليماً إغريقياً، ومن نتائج ذلك أنه تمرد على الكهنة الذين أرادوا التخلص منه بقتله قتلاً طقسياً حسب عاداتهم الجارية والمرعية، ولكنه هاجم الكهنة في المعبد وقتلهم وأبطل تلك العادة «٢١» البربرية.

ونرجح أن عهد هذا الملك المستنير شهد تحولات حضارية جريئة وخلاقة، بحكم ما تلقاه من معارف جديدة، وربما كان من بينها التفكير الجاد في ابتداع كتابة محلية لتحل محل الهيروغليفية المصرية ذات القدسية الخاصة، وفي الحقيقة أن أقدم أثر عثر عليه للكتابة الجديدة المبتكرة التي عرفت بالكتابة «المروية» نسبة لمدينة مروي العاصمة الملكية، وجد في النقعة منقوشاً في معبد الملكة شنادخيني (١٨٠–١٧٠ق.م) وإن حكمت شنادخيني بعد أربعين عاماً من نهاية عهد أرقامنيس فلا نستبعد أن تكون الكتابة المروية قد ابتكرت قبل بداية عهدها، وبعد ذلك التاريخ حفلت آثار المرويين بكتابتهم الجديدة وظلوا يكتبون بها حتى نهاية دولتهم في القرن الرابع الميلادي.

وإن بدا أن الكتابة المروية ظهرت في زمن متأخر من عمر الدولة المروية، غير أن اللغة المروية ذاتها كانت هي لغة القوم السيارة على الأقل منذ القرن الثامن قبل الميلاد– تاريخ ظهور المملكة، وقد أورد الأستاذ الدكتور عبد القادر محمود عبد الله حججاً تؤيد ذلك منها أن اسماء الملوك الأوائل كانت مكونة من مكونات وعناصر ذوات معاني، وأن مكوناتها معروفة في اللغة المروية، وأن تلك الأسماء ذات معاني، وأن الأسماء ذات المعاني تستمد عادة من اللغة الحية المعاصرة، ويستنتج من ذلك أن اللغة التي كانت تدور فيها نفس المفردات أيام الأسرة الخامسة والعشرين هي نفس اللغة التي تعرف باللغة المروية «٢٢».

ومن ناحية أخرى تؤكد دراسات الدكتور عبد القادر أن اللغة المروية لغة أفريقية وأنها خالية من سمات اللغات السامية والهندو–أوربية، كما أنها مخالفة جداً للغة المصرية القديمة التي اتصلت بها وعاشت معها في نفس الزمان والمكان واستعارت خطها وبعض مفرداتها«٢٣»، وإن لمسنا بعض الشبه الظاهري بين اللغة المروية من جهة والعديد من اللغات الأفريقية الحية اليوم من

جهة أخرى، فإن الدراسات لم تصل حتى الآن إلى استمرارية اللغة المروية في أي من لهجات السودانيين الحية المعاصرة أو اللهجات الأفريقية المجاورة.

وما يثير التساؤل حقاً أن الممالك النوبية، علوة والمقرة ونوباطيا، ورثت السيادة على وادي النيل الأوسط بعد المرويين ولكن لم يبق اتصال بين لغة النوبيين واللغة المروية، فأين ذهب المرويون ومعهم لغتهم؟ وإن صعبت الاجابة على هذا التساؤل غير أننا نرجح أن هجرة النوبيين نحو النيل والتي تأكدت منذ القرن الثالث قبل الميلاد أدت في النهاية إلى السيطرة النوبية الكاملة على المنطقة في القرن السادس الميلادي التي غلبت بكثرتها ولغتها على ما كان سائداً قبلها مثلما فعلت اللغة العربية واللغات النوبية في معظم أجزاء وادي النيل الأوسط بعد ذلك بعدة قرون.

الكتابة المروية:

هي كتابة هجائية مطلقة تقريباً «٢٤»، ذات ثلاثة وعشرين حرفاً، وقد كتبت بخطين أحدهما هيروغليفي «وحروفه رموز مصورة» والآخر مختزل (صورة رقم ٢٩)، والخطان مأخوذان من أصول مصرية ، النوع الأول حروفه مأخوذة من الهيروغليفية المصرية والثاني من الهيراطيقية والديموطيقية المصرية. وإن تطابقت حروف الخطين، حرفاً بحرف، غير أن الكتابة بالحروف الهيروغليفية انحصرت في معظمها على جدران المباني، والمعابد والأهرامات، مثل نظيرتها في مصر بينما استقل الخط المختزل في مختلف الأغراض أبرزها الكتابة على «موائد القرابين» المودعة في مقابر المرويين.(صورة رقم٣٠)

وفي الخطين المرويين الحروف منفصلة عن بعضها البعض كما أنهم درجوا على وضع فاصلة بين الكلمات تتكون من ثلاثة نقاط عمودية في حالة الخط الهيروغليفي(⋮) وفاصلة من نقطتين في حالة الخط المختزل (:) وتكون هذه الفواصل أفقية (. . .) في حالة الكتابة الصورية العمودية. واتجهت الكتابة المروية في الغالب من اليمين إلى اليسار كما يجوز أن تكون عمودية.(شكل رقم)

وإن استعارت الكتابة المروية حروفها من الخطوط المصرية الثلاث ، التي أشرنا إليها، فقد لوحظ أنها مخالفة تماماً للكتابة المصرية وفي نظامها في خمسة أوجه نوجزها فيما يلي:

١- إن الكتابة المصرية الهيروغليفية تستخدم مئات الرموز بينما تستخدم

الرقمُ المتسلسل	الرمزُ: المُخْتَزَلُ	الرمزُ: الهِيرُوغلِيفيُّ	القيمةُ الصوتيةُ: العربيـةُ	القيمةُ الصوتيةُ: اللاتينيةُ
١			أ	a
٢			كسرة	e
٣			واوُ مَدٍّ	o
٤			ياءُ مَدٍّ	i
٥			ي : الحرفُ السَّاكِنُ	y
٦			و : الحـرفُ السَّاكِنُ	w
٧			ب	b
٨			پ (الفَارِسِيَّةُ)	p
٩			م	m
١٠			ن	n
١١			نّ (مُغَنَّنَةٌ)	ñ
١٢			ر	r
١٣			ل	l
١٤			خ	ḫ
١٥			خّ	ẖ
١٦			س	s
١٧			ش	š
١٨			ك	k
١٩			ق	q
٢٠			ت	t
٢١			تِ (تاءٌ مكسورةٌ)	te
٢٢			تُوْ	to
٢٣			د	d
٢٤			الفاصلةُ بين الكلماتِ	word-divider

صورة رقم ٢٩
حروف المرويين (من عبد القادر محمود،١٩٨٦م

صورة رقم ٣٠

نموذج من الكتابة المروية

الكتابة المروية ثلاثة وعشرين حرفاً فقط.

٢- بينما بالكتابة المصرية عدد هائل من الرموزمتعددة الأصوات، فإن بالكتابة المروية رمزين فقط لكل منهما صوتان.

٣- بينما تخلو الكتابة المصرية من الحروف المتحركة تظهر بالكتابة المروية حروف متحركة تقابل الفتحة والضمة والكسرة وياء النداء.

٤- وبينما لجأت الكتابة المصرية لتوضيح كل أصوات الرمز متعددة الصوت لم تحتج الكتابة المروية لذلك لكونها هجائية.

٥- اختلفت الكتابتان المروية والمصرية «الهيروغليفية» في توجيه رموز الكتابة نحو بداية السطر. اذ بينما توجه الرموز في الكتابة المصرية نحو بداية السطر ومن ثم تبدأ القراءة من الجهة التي توجه نحوها الرموز فإن الرموز في الكتابة المروية توجه اتجاهاً عكسياً بحيث تكون نحو نهاية السطر وتكون القراءة من الجهة التي توليها الرموز ظهرها.

ومن ذلك يتضح أن المرويين لم يكونوا نقلة مقلدين لغيرهم وإنما أخضعوا ما استعاروه لمقتضيات ضروراتهم بالتغيير والتطوير اللازمين وهكذا كان دأبهم في معظم ما أخذوه من جيرانهم المصريين.

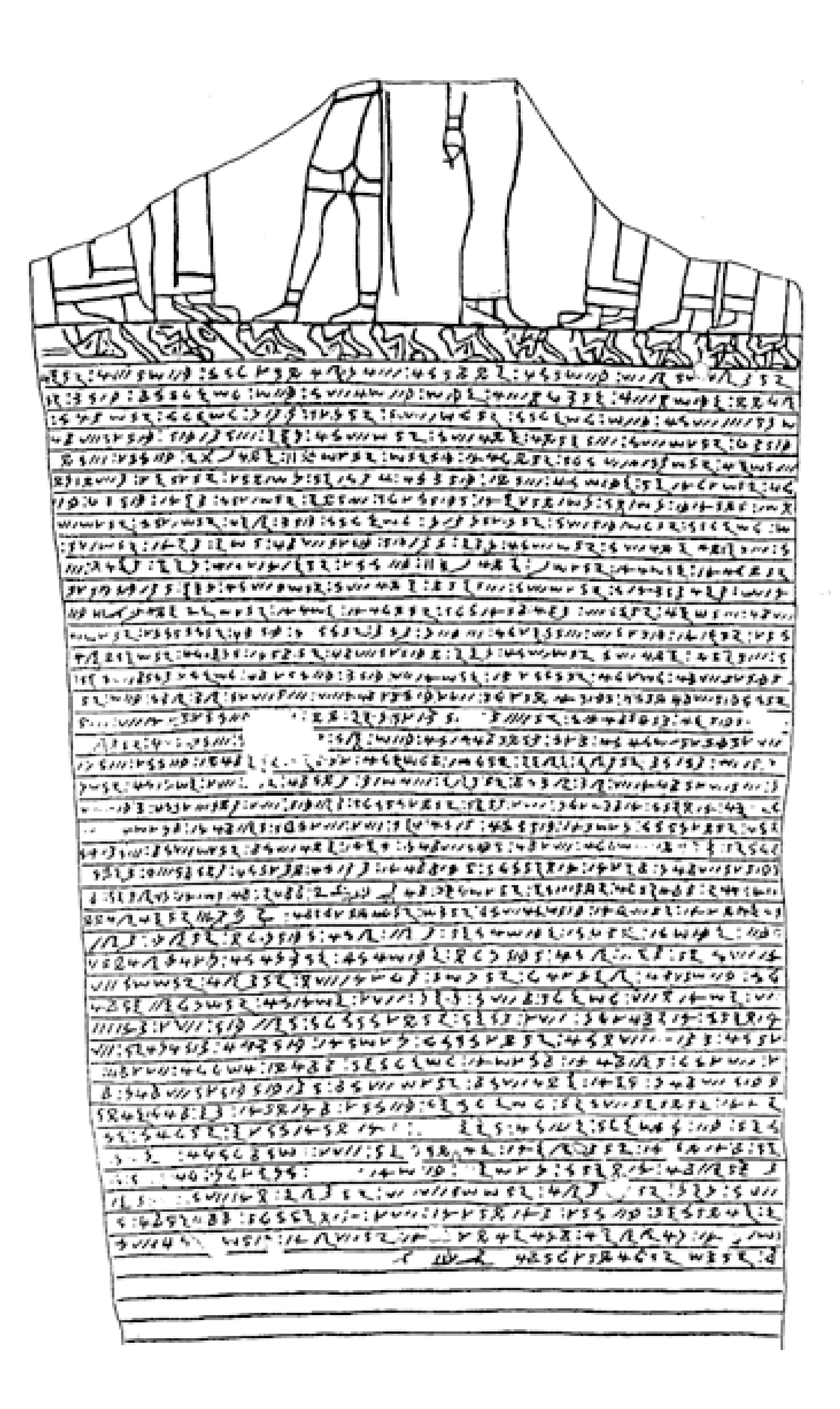
أما في مجالات الكتابة بالمروية فقد عثر على مئات النقوش ويلاحظ أن معظم الكتابات التي وجدت كانت منقوشة على الحجارة وإن عثر على القليل من الكتابات المروية المحفوظة على ورق البردي ، والمواضيع التي تناولتها تلك الكتابات تنقسم إلى فئتين رئيستين « دينية ودنيوية » أما النوع الأول، وهو الغالب، فقد وجد على موائد القربان واللوحات الجنائزية (...) وعلى جدران المعابد والمقصورات الملحقة بالأهرامات وعلى مداخل القبور، أما النوع الثاني من الكتابات المروية، وهي الكتابات الدنيوية، فتشمل كل ما يتعلق بسيرة الملوك والأفراد والمعاملات، وأعظم نقشين ملكيين وجدا هما لوحة الملك المروي تانيدملني (١٢٠-١٠٠ق.م) « ٢٥ » ولوحة الأمير اكنداد (٦٤-٦٩ق.م). (صورة رقم ٣١)

لقد حظيت الكتابات القديمة وخاصة «اللغات الميتة» باهتمام الباحثين شأنها في ذلك شأن آثار الأقدمين، ولوجودها في الغالب ضمن تلك الآثار، إن فك رموز لغة ميتة يبدو أمراً صعباً إن لم يكن مستحيلاً، ولكن ضرورات المعرفة بتاريخ الإنسانية التي جبل عليها الإنسان دفعته لاستكشاف المستحيل في كثير من الأحيان، وفي هذا المضمار قام علماء اللغات بجهود جبارة ونجحوا في فك رموز أهم اللغات القديمة «الهيروغليفية المصرية» و«المسمارية» العراقية القديمة وبعدها أصبح تاريخ تلك البلاد القديم كتاباً مفتوحاً لمن يقرؤه، ولكن علماء اللغات لم يصيبوا إلا تقدماً محدوداً في فك رموز اللغة المروية، ويعزي ذلك إلى أنهم في حالة الكتابة المصرية والعراقية القديمة عثروا في كل مرة على نقش يحتوي على كتابات باللغات القديمة «الميتة» وترجمتها بلغة أو ما يقابلها بلغة قديمة مازالت معروفة، وفي مصر وجد حجر رشيد وعليه كتابة بخطين مصريين قديمين وترجمتهما باللغة الإغريقية القديمة المقروءة، فتمكن الفرنسي شامبليون في عام ١٨٣١م من فك رموز الكتابات المصرية مستعيناً بالنص الإغريقي، وكذلك الحال بالنسبة لكتابات العراقيين المسمارية حيث وجد نقش على صخرة بهستون في إيران عليه كتابة مسمارية وترجمتها بالفارسية القديمة المقروءة، ونجح الإنجليزي هنري ولسون في فك رموز النصين البابلي والآشوري في عام ١٩٤٧م.

ولما لم يعثر على نقش مماثل بالنسبة للكتابة المروية فإن معرفتنا بمعاني تلك اللغة مازالت محدودة والواقع أننا نستطيع حالياً قراءة النصوص المروية ولكننا لا نفهم إلا اليسير من معاني ما نقرأ.

لقد بدأت جهود علماء اللغات لفك رموز اللغة المروية منذ القرن التاسع عشر حتى تمكن البريطاني قريفث (١٩١١م) «٢٦» من التوثق من القيم الصوتية للحروف المروية، وكان من إنجازاته تحديد معاني كثير من الكلمات المروية كما تعرف على الكلمات المصرية الدخيلة في اللغة المروية مثل أسماء الآلهة المصرية وبعض الألقاب، كذلك استطاع قريفث أن يضع أسساً ثابتة للتميز بين الأسماء والأفعال والصفات والأدوات والجذور والزوائد في الكلمات المروية، وضع قريفث أيضاً القواعد الأساسية للنحو المروي من حيث التميز بين المفرد والجمع والإضافة والتخصيص كما أبان ترتيب الجملة عند المرويين.

وبعد قريفث توالت جهود الباحثين ومازالت تحقق تقدماً مطرداً وإن كان بطيئاً نحو الفهم الكامل لتلك اللغة، وعندما يتم إدراك معانيها فإن ذلك يساعد كثيراً في فهم تاريخ المرويين، لقد كان الخط المروي هجائياً سهل التعلم والكتابة وانتشرت المعرفة به بين عامة المرويين في زمانهم



صورة رقم ٣١ لوحة الأمير أكينداد

حتى أن دايدور الصقلي، وهو من كتاب القرن الأول الميلادي زعم بأن كل المرويين كانوا يكتبون بينما اقتصرت معرفة الكتابة في مصر في أواسط الكهان. «٢٧»

ونخلص من هذا الاتفاق مع القول بأنه خلال الفترة المروية اتسعت معرفة المرويين بلغتهم المحلية، قراءة وكتابة، إلى جانب قدر يسير من اللغات الأجنبية هي المصرية واليونانية واللاتينية وربما الحبشية...«٢٨»

هوامش الفصل الثالث

1- Derek, A.Weksby, 2002,p.178

٢- ثروت عكاشة١٩٧١ص٥٤١-٥٥٦

3- Dunham, JEA, p. 102-3.

٥- نفس المصدر السابق ص ١٥٣

6- Derek, 200,p.181.

7- Karl- Heine Priese, The Gold of Meroe

8- Arkell

9- Badawy 1968, p. 232-82

10- Hakem 197, p. 258

11- Mac.II.pls. xiv, xv

12- Hakem, 1971, p.300-326

13- Hintze 1962, p. 181

١٤- أحمد محمد علي حاكم وشارلس بوني ١٩٠

15- Reisner 1919 and Dunham 1955

16- Dunham 1955

17- Dunham 1957, 1963

18- Woolley and Maclver 1910

19- pls. 26-27 المصدر السابق

20- Adams and Nordstorm 1963,p.10-46.

21- Diodorus 1947

٢٢- عبدالقادر محمود ١٩٨٦ ص٢٨-٢٩

٢٣- نفس المصدر السابق ص ٢٧

24- Griffith 1911

25- Hintze 1960

26- Griffith1917

27- Diodorus III.

٢٨ – عبدالقادر محمود ١٩٨٦

الفصل الرابع

العقائد الدينية والنظام الكهنوتي

الفصل الرابع

العقائد الدينية والنظام الكهنوتي

تتزايد أهمية البحوث في طبيعة العقائد الدينية في المجتمعات القديمة لأن الحضارات الإنسانية فيها نشأت تحت رايات معتقداتها، وجاءت معظم آثارها الخالدة إفرازاً طبيعياً لتلك المعتقدات، وكثيراً ما تعدى تأثير هذه المعتقدات –أياً كان لونها– العبادات والشعائر الخاصة إلى التأثير على نظم الحكم والتقاليد العامة والفنون، ولم يختلف المجتمع المروي في ذلك عن غيره من المجتمعات القديمة كما سنرى.

والبحث في طبعية العقائد الدينية المروية عموماً وما يرتبط منها بالآلهة والعبادات والشعائر، يجابه بثلاثة تحديات رئيسة، أولها انعدام المصادر النصية التي تتناول هذه الأمور بطريقة مباشرة مثلما عبرت عن ذلك النصوص المصرية القديمة، وثاني هذه التحديات يتمثل في قلة المصادر النصية عموماً وتباين عهود ما بقي منها مع استعصاء الفهم الكامل لما كتب منها باللغة المحلية المروية، والتحدي الثالث الأخير سببه الحالة المزرية لمعظم الآثار الدينية المتبقية، خاصة آثار المعابد بعد أن طالها الدمار والتخريب بفعل الدهر والإنسان، يضاف إلى كل هذا عدم اكتمال الحفريات الأثرية في المواقع الهامة –الكرو، البركل، الكوة، البجراوية، وغيرها– وبقاء الكثير من آثار الدولة المروية حبيساً في جوف الأرض. ورغماً عن ذلك فيمكن تكوين صورة مقبولة عما كانت عليه عقائد المرويين الدينية بالاستفادة من المصادر المتفرقة المتاحة، ومن ذلك:

أولاً: اللوحات التي كتبها ملوك كوش (مروي) باللغة المصرية القديمة، الهيروغليفية، وأميزها لوحات تتويجهم واللوحات الأخرى التي سجلوا فيها أهم إنجازاتهم، مثل «لوحة نصر بعانخي»، وما يؤخذ على ما جاء في هذه اللوحات عن عقائد كاتبيها أنها تعكس ما تبناه المرويون من عقائد المصريين الدينية، كما أنها لم تشمل العهد المروي كله إذ انقطعت مع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد.

ثانياً: المصدر الثاني نجده فيما كتبه المرويون بلغتهم الخاصة ابتداءً من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى زوال ملكهم، وإن تبينا الكثير من الألقاب الدينية وأسماء الآلهة في تلك الكتابات غير أن عدم الفهم الكامل للغة

المرويين يقف حائلاً دون الاستفادة المرجوة من هذا المصدر.

ثالثاً : المصدر الثالث نجده في المصادر الخارجية لدى الكتاب من الإغريق والرومان، وجملة أخبارهم استقوها من مصادر سماعية، وتبقى الفائدة من هذه المصادر الخارجية مرهونة بما يعضدها من المصادر المحلية.

رابعاً: وأخيراً فإن من مصادرنا الأساسية، الآثار المتبقية من معابد ومدافن وما نقش على جدرانها من كتابات وصور وما بقي في المدافن من المعطيات بالإضافة إلى التماثيل التي وجدت في المعابد أو من حولها.

آلهة المرويين:

كان المرويون مثل كثير من الشعوب المعاصرة لهم في مصر والعراق وشبه جزيرة العرب وبلاد اليونان والرومان، وثنيين آمنوا بتعدد الآلهة لاعتقادهم بأنه كان وراء كل ظاهرة من الظواهر الطبيعية إله يتولى أمرها، ولم تكن وثنيتهم بدائية بسيطة، وإنما تطورت وأصبحت لها مؤسسات دينية ذات نفوذ كبير على الحياة العامة والحياة السياسية، وكان للمعتقدات والممارسات الدينية الوثنية في مصر الفرعونية تأثير كبير ومباشر على معتقدات سكان السودان الشمالي بسبب الجوار وما ترتب عنه من تداخل في أوقات السلم والحرب، وبسبب ذلك ضمت المشاهد المصورة على جدران معابد المرويين صور العديد من الآلهة التي عرفت في مصر، ولم يكن تصويرهم على جدران المعابد سوى تعبير عن النمط المصري في تزيين المعابد، عامة، بصور شتى الآلهة بجانب صورة الإله الرئيسي للمعبد الذي عادة ما يتصدر الآلهة الذين يصطفون خلفه.

وقد حظي ثلاثة من الآلهة التي جاءت من مصر «آمون ، موت وايزيس» بعناية خاصة لدى المرويين وهذا يجعلنا نقف عند كل واحد منها لتتبع آثاره في عقائد المرويين.

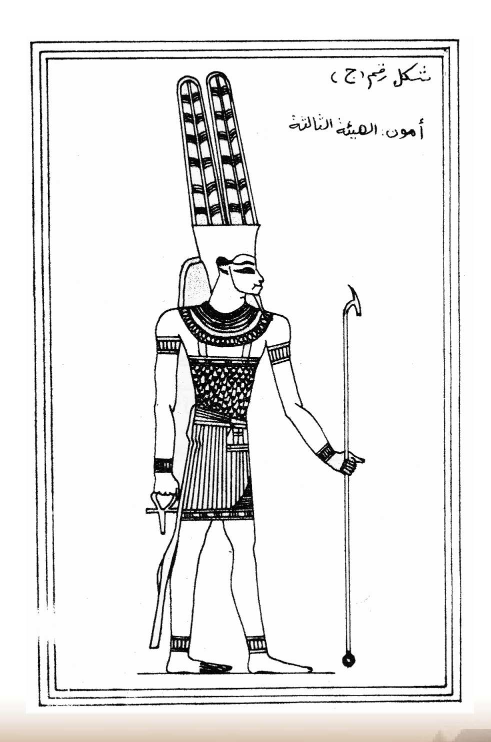
آمون كبير آلهة كوش (مروي)

وكدأب الوثنيين نصب المرويون كبيراً للآلهة التي آمنوا بها، واختاروا في البداية آمون ليكون المقدم بين آلهتهم، ثم أشركوا «أبيدماك» معه في تلك المكانة في القرون الأخيرة من عمر الدولة المروية.

ولما كان جوهر العقائد «الآمونية» في صورتها المتطورة قد نقل نقلاً مباشراً من مصر، فينبغي أن نتعرف بإيجاز على تصاعد مكانة آمون في مصر وتسامي مكانته في بلاد كوش «مروي» حتى أصبح «ملك الآلهة» وكبير الآلهة عندهم.

معلوم أنه لم تكن لآمون مكانة مرموقة بين كبار الآلهة في بداية التاريخ المصري، وكل ما عرف عنه في عهد







صورة رقم ٣٢
أشكال آمون

الدولة المصرية القديمة يقتصر على ذكره ثلاث أو أربع مرات في نصوص أهرامات الأسرة الخامسة .(١)

وفي فجر الدولة المصرية الوسطى ومع ظهور أسرة أمنمهات الأول (٢٠٠٠ ق .م)، بدأ شأن آمون يرتفع لأول مرة في طيبة «الأقصر»، فقربه أمنمهات إلى «رع» إله مصر الأكبر وسماه «آمون رع» وبذلك أصبح رباً لعرش الأرضين وصارت عبادته عبادة الدولة الرسمية .

ومع قيام الامبراطورية المصرية (١٥٨٠ ق .م) بعد أن تمكن أمراء الجنوب المصري من تحرير بلادهم من الهكسوس اتسعت حدود مصر في ظل فراعنة الأسرة الثامنة عشر، وأصبح آمون سيداً لآلهة مصر دون منازع كما أصبح إلهاً ذائع الصيت في أرجاء الامبراطورية ، وفي ألقاب الفراعنة حل لقب «ابن آمون رع» مكان اللقب السابق «ابن رع» ونسبوا إليه كل شيء في الوجود بعد أن خلعوا عليه صفات من سبقه من الآلهة، وجعلوا لآمون زوجة وابناً هما الإلهة « موت »الأم والزوجة، والابن « خنسو » وكون ثلاثتهم الثالوث الطيبي المعروف .

وفي عاصمته طيبة« الأقصر والكرنك » تبارى فراعنة الامبراطورية في بناء المعابد والإضافات إلى القائم منها، وفي إقامة النصب والبوابات حتى غدت طيبة زهرة مدائن عصرها ، وفي الوقت الحاضر قبلة السواح الذين يفدون إلى مصر وضمت الكرنك أكبر دار رسمية لعبادة هذا الإله وباتت بفضل ذلك مقراً رسمياً له .وقد وصل بين الكرنك والأقصر طريق طويل –حوالي ألفي متر– زينت جنباته بتماثيل الكباش الجاثية، الرمز المجسد لآمون . وفي الأقصر بني أفخم وأجمل معابد آمون بما حواه من أبهاء وعمد ومحاريب وبما زين جدرانه من صور ورسوم تعكس في كثير من الأحيان حقيقة الشعائر الآمونية، خاصة ما كان يقام منها في الأعياد الدينية .

وظلت مكانة ودور آمون يتعاظمان في مصر على مر أيام الامبراطورية «الدولة الحديثة» فيها ، فيما عدا فترة النكسة التي أصيبت فيها مكانته ومكانة عاصمته في عهد الفرعون المارق اخناتون (١٣٧٢ق .م) الذي دعا لتقديس إله آخر غيره .

وحينما أصاب الوهن الامبراطورية المصرية اعتلى كلاهن آمون الأكبر حرحور (١٠٨٥ ق .م) عرش الفرعون وظل خلفاؤه وعلى مدى قرن من الزمان (١٠٨٥ –٩٨٤ق .م) يجمعون بين رئاسة الكهانة ورئاسة الدولة .

وحينما أصبح الليبيون سادة على مصر ظلوا يرعون مكانة آمون ، وإن لم يعظموه كما عظمه المصريون، ونصبوا ابنة الملك «عابدة آلهية » و«زوجة للإله» في طيبة، وهي وظيفة في الكهانة تعلو مكانة الكاهن الأكبر لآمون .

وعندما حان الوقت ليتولى الكوشيون« المرويون» زمام الأمور في وادي النيل الأوسط والشمالي «السودان ومصر» في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، فوجئنا بحماسهم الطاغي لهذا الإله، وسجلوا ولاءهم له فيما

سطروه من نقوشات وما بنوه من معابد وما أقاموه من نصب وفي ربط مصير مملكتهم بإرادته، واحتوت النصوص في اللوحات الملكية على ما يؤكد شرعية تولي كل واحد منهم للعرش وإرجاع ذلك لإرادة آمون، وأصدق تعبير عن تلك المعتقدات عندهم صاغوها على لسان آمون وهو يخاطب بعانخي «أنا الذي يعطي الملك لمن أشاء» «٢»، وفي قول بعانخي «الآلهة قد ينصبون ملكاً، والناس قد ينصبون ملكاً، ولكن آمون نصبني» «٣»، ويتأكد زعم بعانخي في معتقدات المرويين في هذا الإله بتكرارهم نصوص مشابهة يرجع أحدها للملك نستاسين، الذي حكم مروي بعد أربعمائة عام من نهاية حكم بعانخي، جاء ذلك في زعمه وهو يخاطب آمون « لم ينصبني الناس ملكاً في ذلك اليوم الرابع والعشرين عندما أعطيتني السيادة على تاسيتي» «٤».

وعن طبيعة آمون وقدراته لم تبق بين النصوص المروية أناشيد أو صلوات دينية خاصة بالإله آمون مثل تلك الأناشيد التي عملت له في مصر الفرعونية لتكشف عما ألحقه المرويون بإلههم من صفات وما نسبوه إليه من قدرات. والنقش الوحيد الذي يرقى في مضمونه إلى طابع الأناشيد الدينية نقش واحد مصدره الواجهة الأمامية من برج معبد تهارقو الجديد في الكوة، ولم يبق مقروءً من هذا النقش سوى سبعة عشر سطراً غير مكتملة هي الأخرى، نورد فيما يلي ترجمة لما بقي مقروءً منها:

« .. السيد الذي خلق الموجودات كلها، آمون... الذي يطعم... السماء لابنه الذي يعمل... بارشاداته.... الذي أوجد المياه.... الذي أوجد الفيضان ليطعم البشر... الذي خلق الجبال والأراضي المرتفعة، الذي اعتنى بـ... وقروه..... ... روحه، إنهم يصلون من أجل أن يدخل الهواء أنوفهم.... مرتين، إنهم يعبدون جمالك.... يطلبون الحياة... من فضل الإله... ... منذ... لا يفشل ما تبدأه. الذي أوجد السنين. الذي خلق الشهور... السماء تحبل بالمطر... الذي أوجد الصيف وفصله، والشتاء ويومه «أيامه»... آمون رع سيد عروش الأرضين...«٥»

وتحتوي اللوحات الملكية، التي عملت أساساً لتأكيد شرعية الملكية وتسجيل أعمال التقوى وبعض الأفعال الأخرى التي قام بها الملوك على نصوص تكشف أيضاً عن طبيعة وقدرات الإله آمون كما بدت للمرويين، وتتعذر الاستفادة في هذا المجال مما كتب باللغة المروية المحلية لصعوبة فهم معانيه.

وإزاء ذلك نكتفي في البحث عن طبيعة آمون عند المرويين بما يمكن استنباطه من تلك المصادر النصية

المتفرقة وغير المباشرة في كثير من الأحيان مع الاستفادة بما كانت ترمز إليه صور وتماثيل هذا الإله من معان .

وخلاصة ما اعتقده المرويون في معبودهم الأول من صفات تتلخص في الآتي :

١ – أنه خالق كل ما في الوجود بما في ذلك الإنسان، والجبال والمياه والسنين والفصول وأيامها .

٢ – أنه أب وسيد الآلهة .

٣ – أنه معطي الملكية .

٤ – أنه معطي وحامي المياه العذبة .

٥ – أنه إله قوة ونصر ولم يكن إله حرب متعطش للدماء .

تصوير آمون في آثار المرويين:

تعددت الأشكال التي بدا فيها آمون للمرويين فتعددت بالتالي هيآته وصوره في آثار المرويين المختلفة (٦)، إما من الأصول المصرية فقد بقيت في خيال المروي صورتان أساسيتان لآمون ، الأولى مشتقة من هيئة الكبش والصورة الثانية التي أظهرته في هيئة رجل ملتح، أميز صفاته ريشتان طويلتان قامتا فوق تاجه .

وبالنسبة للمرويين فقد كان من الجائز الرمز لهذا الإله بأحد صورتيه المذكورتين أو بالشكل المركب من جسم إنسان واقف أو جالس أو أسد جاث برأس كبش ، أو بجزء من أحد الشكلين المعروفين ويكون ذلك كافياً للرمز للإله، وبهذا المفهوم نجدهم رمزوا للإله آمون بأحد الأشكال الآتية : (٧)

١ – تمثال كبش جاث أو صورة إنسان برأس كبش .

٢ – تمثال أسد جاث برأس كبش .

٣ – صورة رجل ملتح فوق تاجه ريشتان .

٤ – صور رؤوس كباش على التمائم والأقراط والتيجان والأواني المنزلية .

٥ – أشكال صغيرة لرؤوس كباش مصنوعة من الذهب أو الفضة أو البرونز أو الرخام أو حجر القاشاني .

٦ – رمزوا له بصورة قرنين أو بقرن واحد .

٧ – رمزوا له بصورة الريشتين . «صورة رقم٣٢»

أسماء آمون المنسوبة لمختلف الأماكن:

وكما رمز المرويين لآمون بمختلف الأشكال والصور فإنهم عرفوه أيضاً بنسبته لاماكن متعددة . ومرد ذلك أنه وحيثما أقيم معبد لامون فإن الآله كان ينسب لتلك الجهة دون غيرها وفي أثناء رحلة التتويج الملكية كان كل واحد من آلهة المعابد الشمالية يحظى بالزيارات الملكية حتى يبدو وكأننا أمام آلهة مختلفين لكل واحد منهم وجود مستقل إستلزم زيارته في بلدته وإقامة الشعائر الخاصة به استرضاء وتكريماً له .

وفي نصوص المرويين المكتوبة باللغة المصرية القديمة ومصادرها الأساسية لوحات التتويج الملكية ونصوص المعابد نسب آمون لست أماكن هي « طيبة » والهها « آمون طيبة » « الأقصر » ونبته والهها « آمون نبته» وصنم ابودوم والهها « امون ثور تلسيتي » وتارا وإلهها « آمون تارا » ونيوبس والهها « آمون نيوبس» أرقو أو كرمة .

وأحياناً دعى الإله بأسماء أو صفات لها مدلولات معروفة لدى المرويين وأمثلة ذلك قولهم «آمون ثور المكان و «آمون ثور الأرض » . واختصر تعريفه بهاتين الصفتين على نصوص معبد صنم ابودوم دون غيرها .وفي نصوص أخرى مختلفة عرف آمون بـ« آمون المدينة » و « آمون القاطن في الجبل المقدس » . ولكنه في نصوص أخرى لم ينسب لأية جهة وفي تلك الحالات غالباً ما تبع اسمه أحد لقبيه المشهورين « سيد عروش الأرضية» أو « سيد الأرض والسماء » .

وحينما كتب المريون بلغتهم الخاصة ساروا على منوال أسلافهم الذين كتبوا بالهروغليفية المصرية في التمييز بين « آمون » في جهاته المختلفة . . ورغم الغموض الذي مازال يكتنف معاني اللغة المروية يمكن تبين المفردات الدالة على أسماء آمون والجهات المنسوب إليها وتلك الأسماء والجهات هي :

« امني / مني /من » وتعني آمون و « منوتي » وتعني «آمون المدينة » و « آمني بروتي» وتعني « آمون مروي» و « آمون لخ تكلتي » وتعني « آمون عظيم النقعة »، و« امنبشي » وتعني « آمون بشي؟ » .

وخلاصة ذلك ، وبعد إحصاء الأسماء التي أطلقت على آمون، معبود المرويين الأعظم، وذلك بالحاقه بمكان معين في كل مرة نخلص إلى الملاحظات الآتية :

أولاً : يلاحظ حرص المروي في كل العهود على تمييز آمون المعبود في كل جهة بتجسيده في أشكال معينة حتى بات من اليسير في كثير من الأحيان التعرف على اله كل جهة حتى وإن لم يرافق شكل الآله نص يعبر عن ذلك صراحة .

ثانياً : كثيراً ما تظهرصوروأسماء بعض الهة الأماكن الأخرى في معبد بعيد عن موطنها المنسوبة اليه، وفي تلك الحالات تأخذ صور هذه الآلهة مهما كانت مكانتها القومية،

مواقع ثانوية بالنسبة لاله الجهة وصاحب المعبد فيها .

ثالثاً : يتضح من إحصاء أسماء آمون أن اسم الإله المدعو « آمون نبته » كان الأكثر وروداً في النصوص المكتوبة باللغة المصرية القديمة وباللغة المروية وفي هذا تأكيد لسمو ومكانة نبته ، عاصمة المرويين الدينية ، وسيادة إلهها آمون نبته على غيره من آلهة المدن الأخرى .

آمون.. الأصل السوداني:

وفي كل ذلك يلاحظ أن المرويين أكثروا من تصوير آمون في هيئة الكبش ، وربما يكشف ذلك عن اعتقاد محلي قديم في قدسية هذا الحيوان يرجع تاريخه إلى وقت سابق لسيادة التأثير الفرعوني على العقائد المحلية في عهد الدولة الحديثة في السودان الشمالي، فهل كان آمون في الأصل معبود محلي « سوداني » ثم أخذه المصريون وطوروا عبادته وعاد للسودان معهم فأقبلوا على عبادته لمعرفتهم السابقة به؟

نرجح ذلك ونلخص حجتنا في الظواهر الآتية :

أولاً : إن وجود تمثال للكبش في كرمة يعود تاريخه لعام (١٧٥٠ ق.م) « ٨ » مع وجود أشكال لكباش وكباش حقيقية مدفونة في مقابر أمراء كرمة في المدفنة الشرقية، بالإضافة إلى العثور على تمثال إمرأة برأس كبش ، في قرية اسكوت « ٩ » يعود لعهد المجموعة (ج)، تعتبر هذه مؤشرات إلى أن الإله آمون ورمزه الكبش ربما كان معروفاً ومقدساً في السودان في وقت سابق لمعرفة المصريين به وتقديسه .

ثانياً : إن الأدلة الأثرية ، ونعني بها وجود تماثيل لآمون في السودان سابقة لما وجد له في مصر، والتي جعلتنا نشير إلى احتمال أصله السوداني تجد تعضيداً في مجريات أحداث التاريخ المصري أيضاً، ومن ذلك أن آمون أصبح سيداً لآلهة مصر لأول مرة ، في عهد الدولة المصرية الوسطى، والمعروف أن مؤسس الأسرة الثانية عشرة فيها الفرعون آمنمهات (١٩٩١– ١٩٧١ ق.م) كان حسب نبؤة الكاهن المصري نفرتي «ابناً لامرأة من تاسيتي » (أرض الأقواس)، إن تسامي مكانة آمون في عهد هذه الأسرة ذات الجذور «السودانية» من ناحية الأم، يغري بالربط بين الحدثين، وأغلب الظن أن أمنمهات وقد تشربت روحه منذ صغره بعقائد أمهاته وأخواله عمد إلى فرض معتقداته تلك عندما تمت له السيطرة على مصر .

وفي عهد الدولة المصرية الحديثة شهدت عبادة آمون بعثاً جديداً، وعندما خضع السودان الشمالي لتلك القوة جاء آمون معها مرة أخرى بعد أن أخذ طابعاً مصرياً فتقبله أهل البلاد وتحمسوا له لأنه لم يكن غريباً عليهم ، وعندما قامت الدولة الكوشية « المروية » المتوسعة ربطوا بينه وبين ملكيتهم ونظمهم الاجتماعية .« ١٠ »

ولذلك نرى أن حماس المرويين لهذا الإله وإكثارهم من تصويره في هيئة الكبش، بصفة خاصة، لم يكن ناتجاً عن التأثير المصري بقدر ما كان ناتجاً من اعتقاد قديم في تقديس آمون الذي يرمز له بالكبش.

الإلهة «موت»:

وهي زوجة «آمون» وأم ابنه «خنسو»، وقد عبدت في طيبة وكانوا غالباً ما يرمزون لها بسيدة تحمل على رأسها تاجي مصر، وأسموها «ملكة الملكات» وبنى لها الملك أمنحتب الثالث معبداً جميلاً في الكرنك. «١١»

وأقدم تمثيل لها في آثار المرويين صورتها المنقوشة في المشهد العلوي من لوحة بعانخي الأولى وفي ذلك المشهد صورت واقفة خلف آمون وهي تحمل علامة الحياة بإحدى يديها وتضع يدها الأخرى على كتف آمون الجالس أمامها، وتكرر تصويرها في مشاهد مماثلة في لوحات ملوك آخرين وهي تحمل علامة الحياة لتقدمها للملك المتوج، وقصد بذلك الرمز لقدسية الملكية التي يباركها الثلاثي الطيبي «آمون وموت والابن خنسو». «صورة رقم٢ »

وحظيت «موت» بتعظيم تهارقو الذي أهدى لها المعبد الصخري في البركل(B 300) يفهم ذلك من نقش على أمزيز بوابة قاعدة المعبد ومن نقش آخر مماثل في نفس الردهة، وجاء في النقش الأخير، «لقد عمله «أي المعبد» ليكون بمثابة أثر لوالدته «موت» سيدة السماء...» ويبدو أن هذه الآلهة أهدت هذا المعبد لزوجها آمون الذي سادت صوره كل مشاهد المعبد، ونرجح أن شعائر خاصة بهذه الآلهة كانت تقام في هذا المعبد ،و في معبد آمون في صنم أبودوم الذي شيده تهارقو صورت محمولة مثل آمون في مركب مقدس «١٢».

وورد اسم «موت» في الكتابات المنقوشة بالخط المروي مرتين، وصف صاحب النقش الأول بأنه «تتر:موت» كما وصف الآخر بأنه «مدك : موت»، ونرجح أن «تتر» و«مدك» لقبان دينيان (١٣) ربما كان صاحباهما من الكهنة الذين باشروا شعائر هذه المعبودة.

الإلهة «إيزيس»:

احتلت «إيزيس» مكانة مرموقة في عقائد المرويين في وقت مبكر من تاريخهم، وظلت تلك المكانة تتعاظم حتى بلغت ذروتها في القرون الأخيرة من عمر الدولة المروية.

وفي لوحات الملوك التي كتبت بالهيروغليفية المصرية شبهت الأم الملكية بالإلهة إيزيس، كما أضاف بعض أولئك الملوك لقب « ابن إيزيس » و« محبوب إيزيس » « ١٤ » لألقابهم الملكية . وإذا صدق ما ورد في لوحة الملك المروي حرسيوتف « ١٥ » عن إبراز الإلهة إيزيس في مختلف المدن التي مرّ بها أثناء رحلة تتويجه وإقامة الولائم لها في تلك الأماكن العديدة، التي لم تعد معروفة لدينا، فإن ذلك يعني أنه أصبحت لتلك الإلهة معابد وشعائر خاصة بها .

وعندما أصبح المرويون يكتبون بلغتهم الخاصة بعد القرن الثاني قبل الميلاد ، بات اسم الإلهة إيزيس يكتب بالمروية « وش » يذكر في بداية جل لوحات القرابين التي أودعت قبور أصحابها الموتى . « ١٦ » .

وفي تلك الكتابات المروية نجد أن بعض الأفراد المرويين حملوا ألقاباً منسوبة للإلهة إيزيس ، والألقاب هي : « آنت » « كاهن؟ » و« بريتي »، و« قورن بريتي » « ١٧ » ، وقد يعني وجود من يحملون ألقاباً دينية وينتسبون للإلهة « إيزيس أن معبد أو شعائر خاصة بهذه الإلهة قد أقيمت في أرجاء المملكة المروية .

أما في الفترة المروية المتأخرة (٥٠– ٣٥٠ ق.م) وهي فترة ازدهار عبادة « إيزيس » في الامبراطورية الرومانية ومصر البطلمية، نجد أن المرويين أصبحوا يقدسون هذه المعبودة مثل كثير من شعوب الشرق الأدنى والحج إلى معبدها في فيلة في جنوب مصر . والشاهد على ذلك يظهر في نقش أسمائهم وآثار أقدامهم على حجارة معبد فيلة جرياً وراء عادة الحجاج الآخرين (١٨) ، وجدير بالذكر أن مكانة هذه الإلهة ظلت متعمقة عند أهل السودان الشمالي وحتى بعد إنهيار مملكة مروي فظل خلفاؤهم يقاتلون الرومان بشراسة شديدة من أجل حق الزيارة لمعبدها في جنوب مصر حتى منتصف القرن الخامس الميلادي ، لقد كان معبد إيزيس في فيلة آخر معاقل الوثنية في الامبراطورية الرومانية .

الإله « أبيدماك »*:

لم يكن كل الآلهة الذين دلت المصادر النصية والأثرية على مشاركتهم آمون في عقائد المرويين من أصل مصري معروف . وأعظم تلك الآلهة آثاراً الإله المحلي المعروف بالاسم المروي « بدمكاك / أبدمك /ابرمك / » (أبيدماك)*، وهو الإله الذي رمزوا له بتماثيل الأسد وصوره، وبالشكل المركب من جسم إنسان ورأس أسد .

وتأليه الأسد في مروي نابع من وحي البيئة المروية، حيث ظلت الأسود تجوب بقاع الإقليم القريبة من عاصمة المملكة القديمة حتى القرن المضي .

* *يعتبر كتاب زبكر Zabkar1975 » أوفى بحث كتب حتى الآن عن أصل وآثار هذا الإله .*

ابيدماك



وأعظم آثار أبيدماك المتبقية معبدان: أحدهما معبده في المصورات، ويؤرخ له بالقرن الثالث قبل الميلاد وثانيهما معبده في النقعة، ويؤرخ له بداية القرن الأول الميلادي.

وعلى منوال هذين المعبدين شيد العديد من معابد الأسد في مروي والمصورات والنقعة وفي كثير من المواقع القديمة المنتشرة في البطانة. (١٩)

وبالرغم من الاتجاه المتزايد لبناء معابد الأسد في محور المملكة الجنوبي، فإن ذلك لم يقلل من حماس المرويين في بناء معابد آمونية خاصة في المراكز المدنية الكبيرة –نبتة ومروي والنقعة– ونرى في بناء الملكة نتكامني، لمعبدين فخمين في النقعة، أحدهما للإله آمون، والآخر للإله أبيدماك، أوضح دليل على توفيق المروين في عقائدهم بين هذين الإلهين، وبينما زين المروي معابد الأسد بصور الآلهة، أخذت صورة آمون مكانتها المعتبرة خلف صور الإله أبيدماك.

وكان أبيدماك من آلهة الخلق والحرب، ويستدل على ذلك من الصفات التي ألحقت به في الأنشودة التي عملت له ونقشت على جدران معبده في المصورات، وجاء فيها:

> ***لك الشكر يا أبيدماك... رب النقعة.... الإله العظيم.... رب المصورات.... الإله الضخم... أسد الجنوب القوي اليد... الإله العظيم.... الإله الذي يأتي لمن يستدعيه... الإله الذي يحمل السر الخفي في وجوده... السر الذي لا تراه العيون.... هو رفيق الرجال والنساء... لا يعوقه معوق في السماء أو على الأرض.... في اسمه يمكن الازدهار للبشر.... ينفث اللهيب على أعدائه باسمه العظيم ذي القوة يقتل العدو.... هو الإله الذي يعاقب من أجرم في ذاته.... ويهيئ مكاناً علياً للذين يهبون أنفسهم لخدمته ويعطي من ينادي في حضرته بالإله السيد العظيم.***

رد عليه الإله قائلاً:

> ***إني أعطيكم كل شيء يخرج بالليل وكل شيء يحدث بالنهار، أعطيكم بسرور سنوات الشمس والأشهر القمرية، هكذا يقول رب المصورات الصفراء.. الذي يعطي الحياة كإله الشمس إلى الأبد.*** (٢٠)

ونخلص في نهاية حديثنا عن أعظم آلهة المرويين المحليين إلى حقيقة أن المروي لم يعرف التوحيد مثله في

ذلك مثل قدماء المصريين كما عرف مثلهم الجمع والتوفيق بين العديد من الآلهة دون المساس بمكانة إله الدولة الأكبر.

الكهانة والطقوس الدينية:

يوحي انتشار المعابد وازدهارها في أنحاء المملكة المروية بوجود نظام كهنوتي تديره هيئة متخصصة من الكهان تباشر الشعائر والعبادات وترعى المعابد وأملاكها، ولكن وفي واقع الأمر، فإن مصادرنا عن ذلك شحيحة ومتفرقة حيث لم يعثر على نصوص واقعية تتناول أمر الكهانة والعبادات في مروي بطريقة وافية.

والمصادر المعنية ثلاثة، هي:

١– الإشارات العابرة التي حوتها اللوحات الملكية المكتوبة بالهروغليفية المصرية وبضع كلمات كتبها المرويون بلغتهم ونحسبها ألقاباً دينية.

٢– المشاهد المصورة على جدران المعابد وغيرها.

٣– المصادر الخارجية السماعية.

ومن هذه المصادر المتباينة نحاول استخلاص تصور معقول لطبيعة الشعائر التي كانت تمارس في معابد المرويين والنظام الكهنوتي الذي كان قائماً عليها.

أخبار الكهان في اللوحات الملكية:

وأول نص ملكي معروف لدينا يخبر عن كهان المعابد المروية ورد في إحدى لوحات الملك تهارقو التي أودعها معبده الجديد في الكوة، واللوحة في مجملها سجل للجهد الذي بذله تهارقو نحو ذلك المعبد في الفترة ما بين السنة الثامنة والعاشرة من حكمه وما يهمنا فيها أن تهارقو يفخر في جزء منها بقوله: « . . . إنه ملأ هذا المعبد بالكهنة وهم رجال يعرفون تعاويذهم وهم أبناء العظماء من كل بلد . .» (٢١)

ونستخلص من هذا النص أمرين، أولهما أن الدولة المروية الناشئة كانت في حاجة للخبرات المتخصصة في الكهانة لذلك عمد تهارقو لاستجلاب بعضهم مثلما استجلب المعماريين المهرة من مصر لبناء معبده، والأمر الثاني أنه كان من سلطات الملوك المرويين تعيين الكهنة في المعابد وهي حقيقة طالما تردد صداها في لوحات بعض خلفائه.

أما الملك أنلماني (٦٢٢–٥٩٣ق .م) فيدعي أنه أثناء طوافه بالمعابد الشمالية وحينما وصل جماتون «الكوة» نصب كاهناً ثالثاً لمعبد الإله هناك وجعل تلك الوظيفة ملك أسرته تتوارثها بعده (٢٢)، وفي موضع آخر من تلك اللوحة أخبر أنلماني أنه وظف أو وهب واحدة من اخواته الأربع لكل من المعابد الآمونية الرئيسة في محور نبتة ليقمن بدور العازفات للموسيقى الدينية أمام الإله «آمون» في تلك المعابد .

وترك الملك اسبلتا (٥٩٣ – ٥٦٨ق .م) خليفة أنلماني ثلاث لوحات «لوحة الانتخاب» ، و«لوحة عقاب الكهنة»، و«لوحة الوقف» ، وحوت كل واحدة من هذه اللوحات إشارات قيمة عن الكهنة والمعابد ، ومن ذلك :

١– حينما يثار خلاف حول ولاية العرش المروي –وهو أمر نادر الحدوث– كان كهنة المعبد المركزي يشاركون الفئات الأخرى في تحديد الوريث الشرعي بطريقة خفية وذلك من وراء تفسيرهم لرغبة الإله (لوحة الانتخاب) « ٢٣ »

٢– من الجائز أن الكهنة والملوك كانوا يتربصون ببعضهم أحياناً وكان يجوز لأي من الفريقين إقصاء الآخر بقتله .

٣– في وعيد اسبلتا بحرمان ورثة من يتآمر عليه من الكهنة من تولي مناصب ذويهم المتآمرين تأييد آخر لما ورد في لوحة انلماني عن وراثة المناصب الدينية .

٤– وحوت «لوحة الوقف» خلاصتها : أن الملك اسبلتا فرض على معبد صنم أبو دوم وقفاً من الخبز والجعة والثيران خص به أخته «مدكن» والأميرة الابنة «خبت» ، حوت هذه اللوحة معلومات هامة عن هذه المعابد خلاصتها في الآتي :

أ– كانت لمعابد آمون مصادر تدر عليها رزقاً وفيراً ودائماً يمكنها من إلتزاماتها نحو أفراد الأسرة المالكة .

ب– كان من الجائز لبعض أفراد الأسرة المالكة تلقي الإعانات الثابتة من المعابد الآمونية .

ج– إن معبد صنم أبو دوم كان غاصاً بالكهنة من مختلف الرتب وشهدوا جميعاً على الوقف الملكي، وكان أعظمهم الكاهن الثاني . إن ذكر الكهنة في هذه اللوحة برتبهم من الثاني حتى الرابع يعني أن شخصاً آخر تقلد منصب الكاهن الأول في معابد المرويين، ونرجح أنه لم يكن سوى الملك نفسه، والشواهد على ذلك عديدة، منها :

١– لم يثبت في للمصادر النصية أي دور لكاهن أول عند اختيار الملوك المرويين أو

خلافه، وإن الإشارة لكاهن ثان تعني أن شخصاً ما قام مقام الكاهن الأول .

٢– بقيت على واجهات المعابد وعلى قوائم بعض جدران حجراتها وجدران ومداخل المحاريب فيها مشاهد ضمت صور الملوك الزائرين لتلك المعابد مع صور الآلهة ولم يبق بين تلك المشاهد أثر لرئيس كهان، بل يبرز دور الملك بصفته الكاهنية الرفيعة حينما يحل بالمعبد لتأدية الشعائر. (صورة رقم ٣٣)

٣– كثيراً ما أخبرت لوحات تتويج الملوك عن اخراج تمثال الإله كما جسد ذلك في صور منقوشة على جدران المعابد وذكر الملك أو صُوِّرَ وهو يقود موكب اخراج الإله (صورة رقم)

٤– ويتأكد انتماء الملوك لطبقة الكهان تصويرهم وهم يتدثرون بأزياء الكهان، ومن تلك المشاهد تصوير الملك تهارقو في ملابس احتفالية طويلة محلاة بالمتدليات المزركشة مع لف وسطه بفرو الفهد، وهو جزء من مكونات أزياء الكهان المعروفة. ولا تقتصر أدلة ارتداء الملوك لجلد الفهد على الصور الملكية وحدها، بل شملت التماثيل المنحوتة أيضاً، ومثال ذلك تمثالي الملك سنكا منسكن ويظهرانه مرتدياً جلد الفهد. (أنظرMac.11 pl.xva,b)

وهكذا تتوافق مدلولات النصوص والآثار في إبراز دور الملك الكاهن، ولأن الملك من الناحية العملية لا يستطيع القيام بأعباء ذلك المنصب بصفة مستديمة وفي كل الأوقات، نرجح أن رئيس الكهان في كل معبد وهو الكاهن الثاني، كان يقوم مقام الكاهن الأول في أغلب الأوقات ويتخلى عن ذلك الدور في المناسبات التي يحل فيها الملك بالمعابد زائراً، وتبقى الأمور الخاصة بتعيين الكهان وعزلهم من اختصاصات الملوك وحدهم.

الألقاب الدينية في الكتابات المنقوشة بالخط المروي:

بحلول القرن الثاني قبل الميلاد لم يعد المرويون يكتبون باللغة المصرية القديمة « الهيروغليفية » وإنما ابتكروا كتابة خاصة بهم.

ورغم الصعوبات التي مازالت تكتنف الفهم الكامل لهذه اللغة التي أصبحت مقروءة لنا، فقد أمكن التعرف على دلالات الكثير من مفرداتها والتعابير فيها، وبصفة خاصة الألقاب الدينية

لورودها دائماً سابقة لاسم إله ومنسوبة إليه، ونسبت هذه الألقاب لآلهة معروفة منها آمون وموت وخنسو وإيزيس وأبيدماك

وتحديدنا لبعض الألقاب الدينية في كتابات المرويين لا يعني في كثير من الحالات أننا بتنا نعرف مدلول اللقب أو دور حامله في العبادات أو درجته في سلم الكهنوت، وهذا يعني أن حامل اللقب قد يكون واحداً من كبار الكهنة أو خادماً في المعبد أو أميناً لمخازنه.

ومن الالقاب الدينية التي تبيناها في اللغة المروية « ٢٤ » :

أميرو « amero »، آنت « ant » آري « are » آتكي « ategi » آتي « ate» بلولوكي « beloloke » داكي « dake » ميدو « medo» مكي شخي« mkesxe » مليكي « melke » ميليوس « mleyos »مريبري « mreperi» بنكوس « pngos » شلخش « csihs » شنتي « snite » شوني « soni » ششور « ssor » تتر « teter » ترتكس « trtekes» وُ « wo » ورتخن « wrtxn »

وكثرة الألقاب الدينية في كتابات المرويين تدل على استمرار وعمق العقائد الدينية خاصة الآمونية، ويضاف إلى ذلك أن كثيراً من حملة هذه الألقاب حملوا أيضاً ألقاباً مدنية رفيعة وأنهم كانوا على (دين ملوكهم) يجمعون بين المناصب المدنية العليا والمناصب الدينية.

الطقوس الدينية:

بالرغم من انتشار المعابد الآمونية وغيرها في مختلف أنحاء المملكة المروية وبالرغم من كثرة الألقاب الدينية في كتابات المرويين، لم يبق في النصوص المروية على اختلافها ما يخبر عن الكيفية التي عبد بها المرويون آلهتهم، ولا عن الأدوار التي كانت منوطة بالكهنة فيما عدا تلك الأدوار التي عزتها بعض اللوحات الملكية للكهنة.

والمناسبة الدينية الوحيدة المعروفة التي أخبرت عنها اللوحات الملكية المختلفة وجسدتها مصورات المعابد (٢٥) واشترك فيها الملوك والكهنة هي شعيرة « إخراج الإله » من معبده في موكب ديني مهيب وهو محمول في مركب مقدس زينت مقدمته ومؤخرته بأشكال صغيرة للإله، بينما قامت في وسط المركب مقصورة حوت تمثال الإله، وارتكز المركب على ذراع خشبية حملتها فرقة من سبعة كهنة في مقدمة المركب وسبعة آخرون في المؤخرة، وفي نهاية المشهد، كما يظهر لنا في معبد تهارقو في الكوة، منظر يضم ثمانية من الموسيقيين والمرتلين وهم

يحملون مختلف الآلات الموسيقية والطبول. (٢٦)

ومنظر مركب الإله آمون المحمولة على أكتاف الكهنة المتبوع بالموسيقيين والمنشدين الدينيين، الذي تكرر ظهوره على ما بقي سالماً من جدران المعابد الآمونية لا شك مأخوذ من مشاهد مماثلة بقيت على جدران بهو الأعمدة في معبد الأقصر في مصر. وهناك ارتبط إخراج الإله بتلك الصورة بعيد الإله المعروف بعيد « أبيت »، الذي حرص بعانخي على حضوره عند نزوله لقيادة جيشه الغازي لمصر.

إن اخراج الإله على النحو المشار إليه ارتبط في النصوص المروية بمناسبات تتويج الملوك فقط ولا ندري إذا كان المرويون قد درجوا على إخراج الإله آمون في غير تلك المناسبة.

وأخيراً وإن لم تبق لدينا أدلة ملموسة وتفاصيل كافية عن نوع الشعائر والعبادات التي كان يقيمها الملوك وعامة أفراد الشعب في مروي فإن ذلك لا ينفي أنهم كانوا يباشرون عبادات منتظمة يومية أو موسمية تقرباً للآلهة التي آمنوا بها. إن في انتشار المعابد دليل مادي على التعبد، وفي كثرة الألقاب الدينية تعبير عن حاجة الجماعة لفئات ملمة بأمور الدين، وفي « الخرابيش » الكثيرة التي تركت على صفحات جدران المبلني في المصورات الصفراء وفي فيلة ودكة (٢٧)، دليل على اهتمام العامة بزيارة المعابد والتقرب للآلهة، وفي العناية بالمدافن الملكية والخاصة والشعبية وتزويدها بالأعطيات الجنائزية دليل على إيمان بحياة تمتد بعد الموت وإن لم يبق في آثارهم ما يدل على تصورهم لتلك الحياة غير أننا نعتقد أنهم تأثروا بمعتقدات المصريين فيما يتعلق بالبعث والحساب « والجزاء الوفاق ».

الفصل الرابع

Faulkner 1969 Pyr. text; 446, 1540, 1712B.1

٢ / لوحة بعانخي Pye.I,13

٣ / نفس المصدر السابق سطر ٢٢-٢٣

٤ / لوحة نستاسين Nast.5

٥ / Macadam II:102-103

٦ / راجع الزاكي ١٩٨٣ الفصل الثالث .

٧ / نفس المصدر السابق

٨ / وينخ Africa II 1978: 145 cat 44

٩ / نفس المرجع Ibid .fig 8, cat. 12

١٠ / الزاكي ١٩٨٣ ص ٥٩

١١ / Otto 1968, p.95

١٢ / قرڤث Griffith 1911 Kar.69, 88.

١٣ / قرڤث : Griffith 1922: 96

١٤ / لوحة نستاسين Nast. 3

١٥ / لوحة جرسيوتف Hars. 145.160

١٦ / قريڤث Griffith1911, 23

١٧ / الزاكي ١٩٨٣ ص ١٣٩ هامش ٩.

١٨ / قريث Griffith 1912, pls.31-34

١٩ / راجع الفصل

٢٠ / هنتزا Hintze 1962 181

٢١ / لوحة تهارقو Inscr.vl;21

٢٢ / لوحة انلماني Inscr.111:7

٢٣ / Elect. st:

٢٤ / Zalki 1975, chap. 2

٢٥ / المقصود المشهدان المصوران على جدران معبد تهارقو في الكوة ومعبده في صنم أبودوم Mac.II. pls.xivb,xvic

٢٦ / Hintze 1979,135

٢٧ / Griffith 1937

الفصل الخامس

اقتصاد المرويين

الفصل الخامس

اقتصاد المرويين

وان لم يعد لدينا من الأدلة ما يكفي لرسم الصورة الدقيقة لاقتصاد الدولة المروية وسبل كسب العيش فيها فإن ما كانت تسير عليه شعوب العالم القديم التي عاشت في بيئات مشابهة وما ظل عليه الحال في المنطقة حتى وقت قريب بالإضافة إلى ما تبقى من آثار قليلة ومتفرقة كل ذلك يجعلنا نرجح أن سكان المملكة اعتمدوا في اقتصادهم على الرعي والزراعة وشئ من الصناعات والتجارة، وإنهم انقسموا إلى فئتين، فئة تجولت خارج منطقة حوض النيل ومارست الرعي وقليل من الزراعة الموسمية وفئة أخرى استوطنت المدن والقرى التي ازدهرت على ضفاف النيل ومارست الزراعة النهرية وبعض الصناعات مع الاحتفاظ بأعداد معتبرة من الحيوانات الأليفة.

البدو وحيواناتهم:

بطبيعة حياتهم البسيطة ومتطلباتها والترحال الدائم لم يخلف البدو المرويون آثاراً كبيرة تدل عليهم غير أننا نجد فيما تبقى من كتابات المرويين باللغة المصرية القديمة ما يشير إلى أن البدو حول مروي كانوا بأعداد معتبرة تهدد أحيلناً الأمن والاستقرار في المملكة وتقطع طريق الرحلة الملكية بين مروي العاصمة ونبتة. لقد أخبر الملك آمون نوتي يركي وهو يتأهب لمسيرة تتويجه، أنه حارب البدو الذين أحاطوا بعاصمته بأعداد تفوق حبات الرمل كما خاض نفس الملك حرباً أخرى مع بدو الصحراء الغربية أثناء مسيرته في كرتان شمال نبتة « ١ ». ومن سيرة الحروب التي خاضها الملكان حرسيوتف ونستاسين « ٢ » اثناء طوافهم التقليدي بالمعابد الشمالية نعلم أن البدو ظلوا يهددون استقرار المملكة وأن الملوك كانوا يخرجون لأخضاعهم لتثبيت النظام المرة تلو

الأخرى.

ولم تكن علاقة البدو بسكان النيل عدائية مطلقة إذ يرجح أنهم كانوا يقصدون النيل وضفافه للسقي ولترعى حيواناتهم مخلفات المزارع بعد مواسم الحصاد أما البدو البعيدين من النيل فقد حاولوا مساعدة أنفسهم بتوفير المياه الضرورية للحلة بحفر الآبار وإعداد الحفائر الكبيرة لتجميع مياه الامطار استعداداً لفصل الجفاف.

وتبين من مخلفات العظام أن الحيوانات التي كانت سائدة عند البدو وبعض سكان النيل هي الأبقار والضأن والماعز. أما الجمال فإن معلوماتنا عن الاستفادة منها في مملكة كوش محدودة. وأقدم أثر لمعرفة الكوشيين بالجمل يأتي من مخلفاته التي وجدت في قصر أبريم. وتحليل تلك المخلفات بواسطة (كربون ١٤ المشع) تشير إلى ظهوره هناك في بدايات الألف الأول قبل الميلاد « ٣ » ولكن هذا لا يؤكد أن المرويين امتلكوا الجمال منذ ذلك التاريخ. ومما لا شك فيه أن المرويين عرفوا فوائد الجمال منذ القرن السابع قبل الميلاد عندما عبر بها الأشوريين صحراء سيناء أثناء حربهم مع تهارقو. وفي مدافن الملوك في البجراوية وجدت آثار لعظام جمال كما وجد سرج لجمل وتمثال صغير لجمل مصنوع من النحاس « ٤ ». وكل تلك الآثار ترجع لبدايات القرن الأول الميلادي.

أما الحمار فقد كان معروفاً لدى المرويين وربما كانت قوافل التجارة البرية عندهم وحتى القرن الأول الميلادي تتكون من الحمير كما كانت عند المصريين الذين نقلوا عليها تجارتهم بين صعيد مصر وشمال المملكة المروية.

أما الحصان فقد كان له شأن آخر عند المرويين حتى إن بعض المصادر عزت غزو بعانخي لمصر وفتحه لها لحبه للخيل وذلك لما أظهره من غضب للحالة المزرية التي وجد عليها الخيول في المدن المصرية التي فتحها بعد محاصرتها هذا بالطبع استنتاج خاطئ، والحقيقة أن بعانخي كان فارساً وكانت الحصين عتاده ومصدر قوته ولتقديره، حسب معتقده، احتياجه للخيل في حياته الأخرى، أعد مقبرة للخيل بجوار مقبرته « ٥ ». ويبدو أنه كان لتميز خيول الكوشيين سمعة عالمية حيث ورد في نقوشات الآشوريين ما يفيد أنهم كانوا يستوردون الخيول الكوشية. وحفلت كثير من كتابات المرويين بذكر الخيول كما صوروها ضمن نقوشاتهم « ٦ ».

الزراعة والمزارعين:

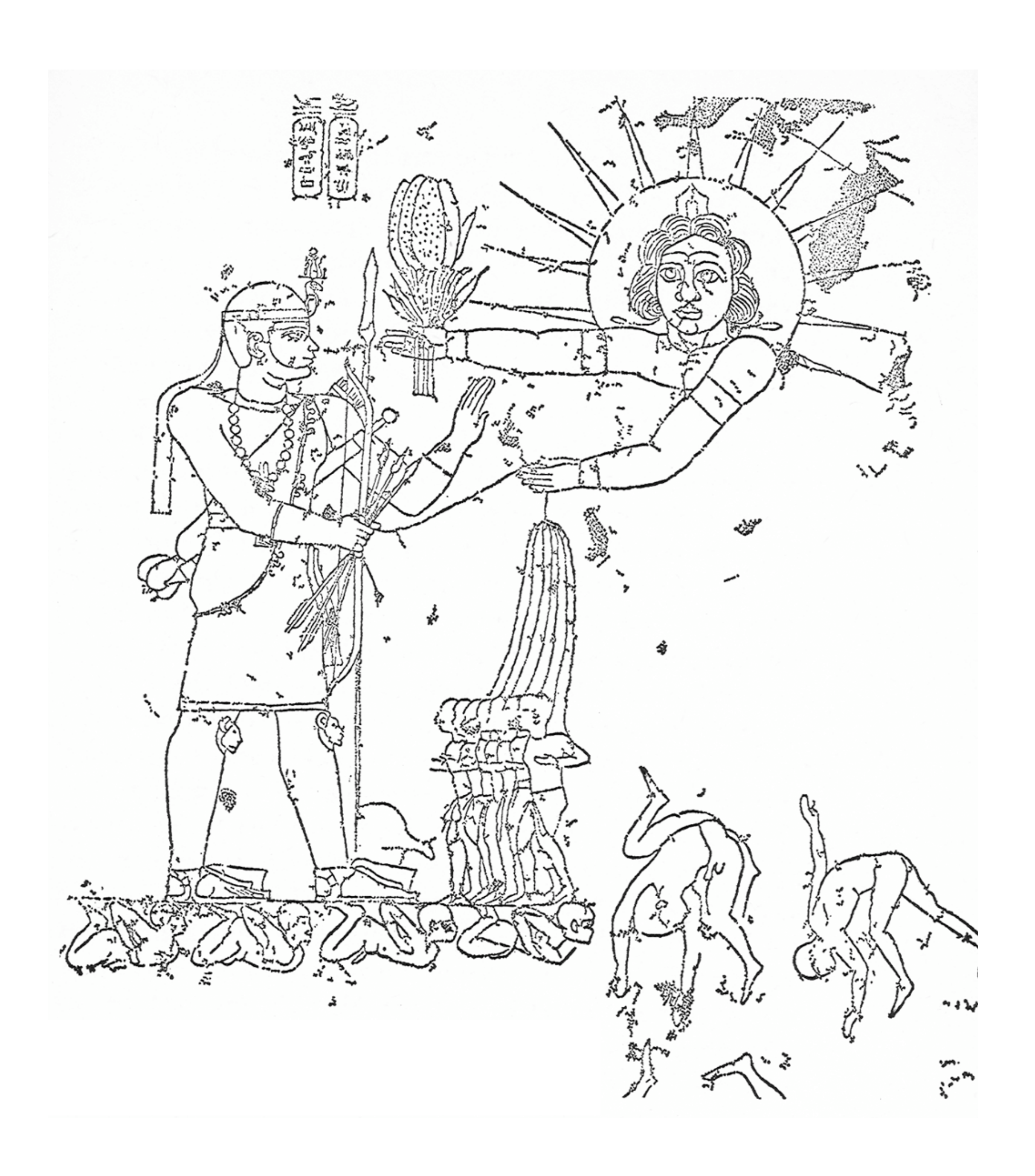
اعتمد المرويون على الزراعة النهرية بدرجات متفاوتة في إقليمهم الممتد بين ملتقى النيلين والحدود المصرية. أما في الجزء الشمالي فقد اختص النهر بضفاف عالية تجعل من المتعذر تدفق مياه الفيضان في مساحات واسعة، يستثنى من ذلك حوض كرمة ودنقلا، ولعله وبسبب ذلك أصبحت كرمة عاصمة أول أقدم مملكة سودانية معروفة «٧»، كما أصبحت دنقلا عاصمة للمقرة في العصور الوسطى. إن علو الضفاف في الشمال جعل الاستفادة من مياه النهر محدودة ويرجح أن الشادوف استعمل منذ زمن مبكر لرفع المياه إلى الأراضي الزراعية. ولكن قدرات الشادوف محدودة وان اقصى قوة رفع له لا تتعدى ثلاثة الأمتار من سطح النهر وبكميات محدودة لا تسقى مساحات واسعة. وفي القرون الأولى قبل الميلاد استعان المرويون بالساقية التي أخذوها من المصريين. وكان للساقية أثرها في توسيع الرقعة الزراعية في شمال المملكة مما يعتبر أحد أسباب زيادة الكثافة السكانية هناك.

أما في جزيرة مروي وإلى الجنوب منها فالوضع يختلف تماما حيث توفرت كميات كافية من الأراضي الزراعية المنبسطة التي تغمرها مياه الفيضان على الضفتين بجانب إمكانية مزاولة الزراعة بعيداً عن النهر لوفرة الأمطار الصيفية.

المحاصيل الزراعية:

عرفت المنطقة المحاصيل المدارية التي سنأتي على ذكرها غير أن العنب وهو من نباتات حوض البحر الابيض المتوسط كان معروفاً في كوش. الشاهد على ذلك ما بقى من معاصر خمر العنب في مينارتي وما ذكره تهارقو مفتخراً بأن ما تنتجه معاصر الخمر في الكوة «جماتون» يفوق ما تنتجه المنطقة المشهورة بإنتاج العنب في واحة البحرية. «٨»

و كانت الذرة محصول المرويين الغذائي الرئيسي كما لاحظ استرابو «strabo» في القرن الأول الميلادي «٩». وتأكد ذلك بوجود آثار من بقايا حبوب الذرة في مواقع مختلفة كما وجدت جرار كبيرة لتخزينها. وتظهر أهمية الذرة كعماد لحياة المرويين في نقشين أولهما في جبل قيلي حيث يصور الإله وهو يقدم حزمة من قناديل الذرة للأمير شوركريور (١٠) والمشهد الثاني منقوش على الحائط الغربي من معبد الأسد في النقعة وفيه يظهر أبيدماك وهو يقدم باقات الذرة لأفراد الأسرة المالكة (١١).



صورة رقم ٣٣ نقش جبل قيلي

وأشارت مصادر القرن الأول الميلادي إلى زراعة القطن في أرض مروي وقد ذكر بليني « Pliny » أن الملابس القطنية كانت مفضلة لدى كهنة المعابد المصرية وأنهم كانوا يستوردون القطن من بلاد المرويين. وبقيت بين آثار المرويين في الأهرامات ومدافن النوبة الشمالية آثار من قماش القطن كما عثر على أدوات مناسج القطن ضمن آثار بعض المنازل (١٢).

عرف المرويون زراعة النخيل والاهتمام به وقد ذكر الملك حرسيوتف (١٣) أنه زرع ست نخلات في نبتة ومروي تقرباً لمعبوده آمون ومعلوم أن التمر كان حتى وقت قريب المحصول النقدي الأساسي في بلاد النوبيين وإن لم يعد لدينا الدليل على أنه كان كذلك في العصور القديمة. وأشارت المصادر الكلاسيكية أيضاً إلى أن السمسم كان من محصولات المرويين الزراعية.

وبجانب هذه المحصولات الزراعية التي بقيت لها آثار تدل عليها لاشك أن المرويين عرفوا محاصيل أخرى من الخضروات والبقول المعروفة لدينا اليوم قياساً بما كان يزرع في مصر وقتها وما يزرع في الوقت الحاضر في السودان.

اللحوم الحيوانية:

يستدل من آثار المرويين، في المناطق السكنية، انهم تحصلوا على غذائهم البروتيني من لحوم الحيوانات الأليفة– الأبقار والضأن والماعز ويبدو أن المائدة المروية كانت غنية باللحوم. وجاء تأكيد ذلك في الرسالة التي حملها الملك المروي رسل قمبيز لبلاده وكيف أنه ربط بين طول أعمار رعاياه لشربهم اللبن وأكلهم الكثير من اللحوم. واشتهرت في العالم القديم على أيام هردوت حكاية المائدة الغنية باللحوم والتي كان يعدها الوجهاء ليلاً في مكان خارج مدينة مروي ليأكل منها من يشاء أثناء ساعات النهار. (١٤)

وبجانب لحوم الحيوانات الأليفة هناك قرائن وأدلة على أن المرويين مارسوا صيد الحيوانات البرية، الغزلان وغيرها، التي كانت تجوب السهول القريبة من العاصمة والصحراء الغربية. ولم تخل آثار المرويين المتبقية من رسومات لمشاهد صيد البر (١٥).

أما بالنسبة للأسماك فقد وجد الكثير من هياكلها العظمية في بلاد المرويين ولا يفهم لماذا اعتبر بعانخي أكل السمك سبة على الليبيين في مصر ووصفهم بأنهم « أنجاس لا يختنون أبناءهم

ويأكلون السمك » (١٦) ولعل السمك كان محظوراً على كهنة المعابد أو الملوك المقدسين وأن الليبيين منهم لم يتقيدوا بذلك.

الصناعات:

كانت صناعة الفخار أبرز صناعات المرويين وأبقاها آثاراً. وتعددت أنواع الفخار المروي عبر عمر دولتهم الطويل من حيث الأشكال والزخارف كما تعرضت صناعة الفخار عندهم للمؤثرات الخارجية. (١٧)

وأمكن تصنيف الفخار المروي من حيث الصناعة إلى نوعين: يدوي تصنعه النساء ويشمل الجرار الكبيرة التي ظلت تحافظ على شكلها منذ العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر (١٨). والنوع الآخر من الفخار تم تشكيله بعجلة الفخار وكان يصنعه الرجال. ويلاحظ أن الفخار المروي في فجر الدولة كان بسيطاً ولم يكن هناك اهتمام كبير بتنويع اشكاله أو زخرفته. وبحلول العصر الهلنستي، بعد القرن الثالث قبل الميلاد، أصبحت صناعة الفخار فناً مرموقاً حيث زخرف الفخار وتم تلوينه بالألوان الزاهية المختلفة وتميز فخار النوبة السفلى في القرون الأولى بعد الميلاد بأنه أصبح أجمل فخار زمانه وزين بمشاهد الحيوانات المختلفة والأشكال البشرية والهندسية (١٩). (صورة رقم ٣٤)

ويبدو أن المرويين عرفوا وأجادوا تقنية التحكم في درجات الحرارة واستخدامها الأمثل في صناعة الفخار، وظلت تلك المهارة رصيداً معرفياً لهم عندما شرعوا في استخراج الحديد من الصخور. وقد تم العثور على أفران صناعة الفخار في مواقع عديدة انتشرت بين كرمة ومروي.

أما صناعة الزجاج في مروي فالأدلة عليها شحيحة لأن اغلب الزجاج الذي وجد في مدافن الملوك كان مستورداً من مصر ولاتستبعد معرفتهم بصناعة الزجاج غير أنهم لم يبدعوا في تلك الصناعة (٢٠).

وعرف المرويون صناعة الطوب الأحمر وتميز طوبهم بضخامة الحجم ومازالت أمثلة منه موجودة فيما يعرف بالحمام الروماني وبعض أهرامات البجراوية الشمالية المتأخرة وفي تبطين بئر النقعة التي لاتزال مستعملة.



صورة رقم ٣٤ نماذج من فخار المرويين المزخرف

وإن كانت آثار الكمائن عموماً ليست من الآثار التي تبقى فلابد أنهم نصبوا كمائنهم على ضفاف النيل حيث يكثر الطمي المادةالأساسية في صناعة الطوب الأحمر حتى اليوم.

وأخيراً يذكر من الصناعات الضرورية التي كانت سائدة عند المرويين صناعة النسيج. وقد سبق أن علمنا أن القطن كان من المحاصيل الزراعية في المملكة وأن منسوجاته كانت مفضلة حتى لدى الكهنة المصريين.

ولا يستبعد أن تكون الملابس الجميلة التي ظهر بها عظماء المملكة خاصة الكنداكات مصنوعة من قماش القطن وأن المرويين أقاموا مناسج القطن في مساكنهم تماماً كما يفعل سكان منطقة شندي في عصرنا هذا مع صناعة «الدمور» من خيوط القطن. لقد عثر في بعض مساكن المرويينعلى كميات لا يستهان بها من أدوات النسيج، المناول والإبار، المصنوعة من العظام.

التعدين:

بقيت في آثار المرويين أنواع مختلفة من المعادن منها الذهب والنحاس والبرونز والحديد.

أما بالنسبة للذهب فقد اشتهر شرق السودان ووادي العلاقي بصفة خاصة بوجود معدن الذهب فيه وقد استغل مناجم الذهب في هذه المنطقة الفراعنة والبطالمة والرومان على التوالي. وأشار بليني «Pliny» لوجود الذهب بكثرة في المنطقة الممتدة بين نبتة والبحر الأحمر. وهذه حقيقة يؤكدها الاندفاع الكبير من أجل الذهب في الصحراء الشرقية في عهد الطولونيين في مصر «٢١» كما تؤكدها حركة التعدين النشطة التي تجري الآن من قبل حكومة السودان في ذات المنطقة، ولكن لم يبق من آثار المرويين من الأدلة المادية ما يؤكد أنهم اشتغلوا باستخراج الذهب من هذه المنطقة أو غيرها، وإن كنا لا نعدم الأدلة في كتاباتهم والآثار المتبقية على أنهم عرفوا الذهب وتملكوا كميات كبيرة منه. ومن ذلك ما ذكره الملك تهارقو عن كميات كبيرة من الذهب أهداها لمعبد آمون في الكوة وما ذكره الملك نستاسين من غنائم هائلة من الذهب من أعدائه بدو الصحراء الشرقية (٢٢)، وإن كنز الملكة أماني شاخيتي الذي اشرنا اليه في الفصل ( ) دليل آخر على اهتمام المرويين بالذهب وامتلاكه وصياغته ضمن مجوهراتهم الثمينة.











صور رقم ٣٥ «أ» نماذج من مصنوعات المعادن (الحديد والبرونز والنحاس)

النحاس والبرونز:

هـذه أقدم المعادن التي عـرفها الإنـسان . وكـما يمثل إكتشاف الـنحـاس مرحلة الانـتـقال من العصـور الحجرية إلى عصر المعادن فـقد تـزامن حلول عـصره مع انتقال الـبشـرية من عصـور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية.

وعرف الـنحاس في أقصى شمال السودان القـديم في مطلع الألف الثالث قبل الميلاد. وتعـتبر بـوهين أهم وأقدم مواقع صناعة النحاس في السـودان الشـمالي وفـيها وجـدت ثلاثة أفران لصـهر النحاس هي الأقدم من نوعها.

لقد ارتبط استخراج النحاس واستخدامه في البداية باهتمام فراعنة الأسر المصرية الأولى بمعادن السودان، خاصة الذهب. وكان وادي العلاقي مـنطقة تنتج النحاس كما اشتهـرت بإنتاج الذهب وإن لـم يعد ممكناً تحديد كل أماكن تعدين النـحاس القديمة غيـر أن أحدث البحوث في هذا المجال تـشير إلى احتـمال الـتعـدين في مـكانـين، بـجانب وادي الـعلاقي، هـما وادي أم فحم في الجـزء الشمالي الشرقي من السودان ومنطقة بئر كاسر شمال شرق الخرطوم «٢٣».

وتعددت استعمالات النحاس والبرونـز عند المرويين إذ صنعوا منهـما الأسلحة والأدوات المنزلية والمهـنية ومواد إغلاق الأبواب والمواد الطقسية وأدوات الـزينة والتماثيل والـعملات. (صورة رقم ٣٥)

واستـمرت أهـمية هـذين المعدنين في حياة المـرويين عبـر الـعصور بـالرغم من معـرفتهم لمعادن أخـرى مثـل الذهـب والـفضة والالـكـتـروم والـحديـد. ويلاحظ أن مـعظم المواد المتـحفـية المعـدنـية المحفوظة والمعـروضة في متـحف الـسودان القـومي هي من النحاس والبـرونز، بل أن الـقطع من هذا المعدن تـمثل نسبة٤٦٪ من مجموع المواد المعدنية البالغ عددها «٢١٣٥» قطعة «٢٤».

الحديد:

عرفت مملكة مـروي في زمانها باسـتخـراج الحديد دون كافة الـبلاد الأفريـقية جنوب الـصحراء حتى اطلقت عليها صـفة «برمـنجهـام افريقيا» التي اشتـهرت بها، وقد أبانـت المكتشفات المروية الأثـرية أن المرويين استخدموا الحديد في صنع أنماط متنوعة من الأدوات أبرزها الأسلحة– السهام والحراب والفؤوس والـسكاكين، والآلات الزراعيـة– المعازق والمجـارف، وللزيـنة صنعوا من الحديد











صورة رقم ٣٥ «ب» نماذج من مصنوعات المعادن (الحديد والبرونز والنحاس)

الخلاخيل والأسورة والأقراط. كذلك صنعوا معدات أخرى للاستعمال المنزلي منها الملاعق الصغيرة والمقصات الكبيرة والأزاميل وأدوات الجراحة وغير ذلك. ويرجح أن كثيراً من معدات الحديد الأخرى التي لم تصلنا قد تحللت بسبب طبيعة التربة والرطوبة « ٢٥ » (صورة رقم ٣٥)

وتأكد من وجود أكوام « خبث » الحديد الهائلة في الأطراف الشرقية من مدينة مروي العاصمة ووجود أفران لصهر الحديد في المنطقة الصناعية من المدينة ان المرويين كانوا ينتجون الحديد في بلادهم. ولم يقتصر إنتاج الحديد في المملكة على منطقة العاصمة الملكية حيث الآثار البارزة للنفايات وإنما انتشرت مراكز صهر الحديد من أقصى شمال حدود المملكة حتى جبل موية في النيل الأزرق، كما عثر على آثار ترجح أن صناعة الحديد كانت قائمة في مواقع بعيدة عن النيل مثل جبل حرازة في كردفان ومواقع أخرى في وسط دارفور يؤرخ لها بمطلع القرن الأول الميلادي. ولكن تأثير مروي في نشر المعرفة بالحديد في أفريقيا، كما يشاع أحيانا، مشكوك فيه كما تبين من الدراسات التي أجراها شيني « shinne » . « ٢٦ »

أما متى جاء الحديد إلى مروي وكيف فالأمر مرهون بمعرفة ذلك في وادي النيل كله. وفي هذا نجد أن مصر عرفت بأس الحديد لأول مرة في عهد الهكسوس « ١٧٠٠–١٦٠٠ ق.م » ثم عند حروبها مع الحيثيين « ١٣٠٠ ق.م » كما عرفه المصريون بكثافة عند حروب الكوشيين في مصر مع الأشوريين، أما صناعة الحديد في مصر ذاتها فيرجح أن ذلك تم في القرن السابع قبل الميلاد على يد أفراد الجالية الإغريقية الذين أقاموا في منطقة الدلتا، ولكن أقدم فرن لصهر الحديد وجد في مصر فيعود للقرن الرابع قبل الميلاد. « ٢٧ »

وبالنسبة للمرويين فأقدم أثر للحديد وجد في هرم تهارقو وهو عبارة عن رأس حربة ملبسة بالذهب لقيمتها العالية عندهم في ذلك الوقت. وأقدم دليل على بداية إنتاج الحديد في مروي فيعود تاريخه لمطلع القرن الخامس قبل الميلاد، وبعد ذلك ظل المرويون ينتجون الحديد حتى نهاية القرن الخامس الميلادي. ومما ساعد المرويين في التوسع والاستمرار في صناعة الحديد معرفتهم المسبقة بتقنية التحكم في درجات الحرارة ووفرة خام الحديد في صخور بلادهم مع وفرة الأخشاب التي أمدتهم بالطاقة اللازمة لاستخلاص الحديد من الصخور.

التجارة:

يعتمد ازدهار وانسياب التجارة الداخلية أو الخارجية في بلد ما على عاملين رئيسيين أولهما فائض في إنتاج سلعة حيوية في مكان ما مع ندرة وحاجة ماسة اليها عند طرف آخر راغب فيها وقادر على شرائها. والعامل الثاني وجود طرق ممهدة وآمنة ووسائل نقل مناسبة تيسر انسياب السلع وقد توفر بعض ذلك للدولة المروية .

إن في استقرار واستمرار الملك في مروي وتنظيم إدارة الأقاليم البعيدة عن المركز « خاصة النوبة السفلى » دليل على بسط الأمن الضروري لإنسياب التجارة البرية والنهرية في البلاد، رغم علمنا أن أقاليم النيل كانت تتعرض من وقت لآخر لتهديدات بدو الصحراء الشرقية والغربية.

وقد كان للسلام الروماني « Roman Peace» بين المرويين والرومان في نهاية القرن الأول قبل الميلاد أثره الكبير في انسياب وازدهار التجارة بين النوبة السفلى « المروية » ومصر الرومانية في القرون الأولى بعد الميلاد.

أما بالنسبة للطرق فإن العاصمة الإدارية مروي توسطت تقريباً أرض المملكة وقامت على النيل في منطقة تخلو من عوائق الملاحة امتدت لمسافات طويلة بين الشلاليين السادس والخامس.

وكانت الطرق البرية إليها ميسرة في كل الاتجاهات لسهولة المسالك . وإن لم يبق في سجلات المرويين إفادات كثيرة ومباشرة عن تلك الطرق فإن ما بقي من دلالات يساعد في رسم صورة تقريبية لمسارات بعض تلك الطرق. ومن المصادر الخارجية المفيدة في ذلك ما ذكره بليني « Pliny » عن الطريق البري الذي كلنت تسير عليه تجاره الصادر بين المملكة وأسوان حينما تتعذر الملاحة في النهر كما ذكر الطريق البري الآخر الذي كان يربط بين نبتة والبحر الأحمر.

وإن صح قول بليني عن الطريق الأخير فلابد أنه كان يمكنهم من الإتجار مع مصر الفرعونية والبطلمية والرومانية وربما كان الطريق الذي جاءت عبره التأثيرات الهندية على حضارة مروي حسب زعم بعضهم (٢٨).

أما طريق النيل الممتد بين ملتقى النيلين وحدود المملكة المروية الشمالية فيعتبر صالحاً للملاحة في فترة الفيضان وامتلاء النهر مع استحالة ذلك في بعض أجزائه عند انخفاض منسوب المياه لوجود الجنادل الستة وبروز النتوءات الصخرية في مجراه. لقد كان المبحرون على النيل يضطرون لمفارقته عند الأماكن الوعرة منه ويسيرون مع قوافلهم قرب شواطئه حتى يتخطون تلك

العقبات ثم يعودون اليه أو إنهم كانوا يفارقون طريقه تماماً ويعبرون بقوافلهم الصحارى مثلما كان يحدث أثناء الرحلة الملكية بين مروي ونبتة التي أشرنا إليها (٢٩) .

تجارة الصادر والوارد :

ولما كان من طبيعة المجتمعات المستقرة التخصص في المهن فلا نستبعد أن أصحاب المهن المختلفة في مروي كانوا يتبادلون السلع لسد حاجاتهم من الحبوب واللحوم وأدوات الزراعة وغير ذلك وإن مثل هذا التبادل كان يتم بين سكان المنطقة الواحدة وبين المناطق المتباعدة وبين البدو والحضر. ولم يثبت تعامل المرويين بالنقود إذ أن كل ما وجد منها في بلادهم وأودع المتحف القومي لا يتعدى الاثني عشرة قطعة من العملة البرونزية، لقد ظل نظام المعاوضة سائداً حتى عصر الممالك النوبية التي لم تعرف العملة إلا في مملكة المارس « نوباطيا » الحدودية (٣٠) .

ومعلوماتنا عن تجارة الصادر قليلة وغير مباشرة ويرجح أن الذهب والعاج والأبنوس والرقيق والأفيلل والحصين وشئ من الحبوب كانت من صادرات الدولة المروية لمصر وما وراءها. لقد كان الحصول على ذهب السودان القديم من أكبر هواجس حكام مصر منذ عهد الفراعنة وحتى غزو محمد علي للسودان في عام ١٨٢١م. وبجانب الاستغلال المباشر للمناجم في وادي العلاقي من قبل البطالمة ليست هناك أدلة على الكميات المستخرجة والمصدرة منه، ويقال ذات الشئ عن النحاس.

وعن صادرات العاج والأبنوس فقد وجدت كميات معتبرة منها محفوظة في مخازن قصر ودبانقا ومعبد صنم أبودوم « ٣٢ »، ويبدو أن تجميعها بتلك الكميات كان بغرض التصدير.

أما الأفيال والتي كانت تجوب السهول القريبة من مروي العاصمة فيرجح أنها كانت تصدر إلى البطالمة في مصر ويقال انهم كانوا يصطادونها من بلاد المرويين في عهود بطليموس الثالث والرابع وارقمانيس ملك المرويين. وبما أن الأفيال المتوحشة لا تصلح للاستغلال والركوب عليها إلا بعد الترويض الضروري فإن الرأي القائل أنها كانت تدرب في مباني المصورات يبدو صائباً.

ومثلما نشطت حركة الصادرات من المملكة فقد كشفت آثار المرويين المتبقية أنهم كانوا يستوردون بعض حاجياتهم من مصر ومن أنحاء البحر الأبيض المتوسط. لقد وجدت كميات هائلة من أواني الفخار المصري ومنها ذلك النوع الذي لا يستورد لذاته وإنما لما يحتويه من أشياء

قيمة يحتاجها المروي مثل النبيذ الفاخر وزيت الزيتون والعسل. وانتشر هذا النوع من الفخار حتى ودبانقا جنوبا. وفي المنطقة بين الشلالين الأول والثاني بقيت آثار فخار مصري أقل جودة ويبدو أنه استورد بغرض الاستعمال اليومي.

استورد المرويون أيضاً الأواني الزجاجية وأواني الخزف لقيمتها الجمالية. وقد وجدت أنواع مميزة من الخزف في بعض الأهرامات « ٣١ » ومدافن بعض علية القوم . كذلك استورد المرويون بعض المصنوعات المعدنية الجميلة المصنوعة من البرونز والفضة من مصر وبلدان البحر الأبيض المتوسط.

هوامش الفصل الخامس

1\ Mac.II, Inscr;7, 25

2\ Nast . 39

3\ Rowley 1988,246

4\ Robinson1936, p.63

5\ Durham 1950

٦ / حاكم وشارلس يوني ١٩٩٧ ص ٩١ .

7\ Derek1996, p155

8\ MI:II, Inscr,36,38 note 53.

وللمزيد عن تقنية تلك المعاصر نرجع القارئ لمجلة كوش « ١٣ » ونموذجها من مينارتي « Adams,1965,148-7 »

٩ / Strabo VXII,I

١٠ / راجع الصورة رقم (٣٣)

١١ / راجع الصورة رقم (١٦)

12\ Thurman and Williams1979, 36

13\ Hars, 137

١٤ / هردوت Herodotus:III,25

١٥ / راجع صورة رقم

16\ Pyel, 68

17\ Shinnie, 1967, p.116

18\ Shinnie, 1967, p.116

19\ Adams, Meroitica I, 1973, 177- 219 Torok, Meroitica 10,1989, 99

٢٠ / انظر Griffith1923, 126, and Emey and Kirwan, 1935,93

٢١ / المقريزي ج « ١ » ص « ١٤٩ »

22\ Budge,1907:II,101-102

٢٣ / اخلاص عبداللطيف ادريس ٢٠٠٥ إلى ٢٣– ٢٤

٢٤ / المصدر السابق.

25\ Shinnie,1967, p 167-8

٢٦ / نفس المصدر السابق ص ١٦٨

٢٧ /عبدالرحمن محمد خبير، ٢٠٠٠ ص ٤٣–٤٤ .

28\ Pliny, VI, 189

29\ Arkell, 1961, p.166,n.3

٣٠ / المقريزي ج « ١ » ص « ١٩١ » .

31\ Vercoutter 1962 , pl. xxb and Griffith 192 pl. L111b.

المراجع والمصادر

١ – ابراهيم احمد زرقانة وآخرون، **الأجناس البشرية**، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢– احمد محمد علي الحاكم وشارلس بونيه، **كرمة مملكة النوبة– تراث أفريقي من عهد الفراعنة** « اشراف صلاح الدين محمد احمد » شوكة دار الخرطوم للطباعة والنشر، ١٩٩٧م.

٣– اخلاص عبداللطيف « **عصر البرونز في السودان القديم – مجاميع متحف السودان القومي** » « رسالة ماجستير غير منشورة » كلية الآداب ، جامعة الخرطوم ٢٠٠٥م.

٤– البلاذري ، **فتوح البلدان**، القاهرة ١٩٣٢

٥– المقريزي، **المواعظ والأعتبار بذكر الخطط والآثار**، الجزء الأول، مطبعة بولاق.

٦– بازل ديفدسون، **أفريقيا تحت أضواء جديدة**، « ترجمة جمال محمد أحمد » دار الثقافة بيروت.

٧– ثروت عكاشة، **تاريخ الفن المصري** ، الجزء الأول « مطابع دار المعارف في مصر » ١٩٧١.

٨– كارل هانز بريشه، **ذهب مروي**، « ترجمة صلاح عمر الصادق » دار عزة للنشر والتوزيع – ٢٠٠٥م.

٩– عبدالقادر محمود عبدالله، **اللغة المروية** ، الجزء الأول، مطابع جامعة الملك سعود– الرياض، ١٩٨٦م.

١٠– عبدالرحمن محمد خبير، **صناعة الحديد في مروي**، ادوماتو، العدد الأول « يناير ٢٠٠٠ ».

١١– عمر حاج الزاكي، **الاله آمون في مملكة مروي**، مطبوعات كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، ١٩٨٣م.

١٢– عمر حاج الزاكي ، **عوامل الإستمرارية والتغيير في ملامح ثقافة وادي النيل الأوسط**، مجلة العلوم الإنسانية ، العدد الثاني، جامعة ناصر،(نوفمبر ١٩٩١).

١٣- يوسف فضل حسن، **دراسات في تاريخ السودان** ، الجزء الأول، ١٩٧٥م.

١٤-سليم حسن، **مصر القديمة**، الجزء الحادي عشر، مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٥٦م.

١٥- سامية بشير دفع الله، **تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة** ، دارهايل للطباعة والنشر والتغليف، ١٩٩٩م.

مصادر باللغات الأوربية:

1- Abdalla, A-M (Meroitic Personal Names) (Unpub- ph.D.thesis) University of Durham, 2Vols., 1969.

2-Adams, W.Y. Sudan Antiquities service Excavation at Meinarti,1963-64" Kush 13 , 148-76, 1965

3- Adams, W.Y. "Meroitic high Fashion: examples from art and Archaeology" Meroitica 10, 747-55, 1989.

4- Arkell, A.J, AHistory of the Sudan from the Earliest Times to 1821 (2nd edition) London, 1966.

5- Badawy, A., AHistory of Egyption Architeiture... (Los Angeles) 1966.

6-Breasted, J.H, Ancient Records of Egypt. 2vols.chicago, 1951.

7- Bruce, J, Travels to Discover the Sources of the Nile (London) 1790.

8- Budge, E.A wallis, Egyptian Religion. Annals of Nubian kings... (London) 1912.

9- Crowfoot, J. W, The Island of Meroe, (London) 1911.

10- Diodorus, Geography, Book 1-3 (trans. old father, C.H Loeb- London), 1946.

11- Dixon, D.M, "A Meroitic Cemetery at Sennar (Mokwar) kush II, pp. 227-34, 1963.

12- Dunham, D., The Royal Cemeteries of kush, VOL.I EL kurru (London) 1955.

13- Dunham, D., The Royal Cemeteries of kush, VOL: IV Royal Tombs at Barkal and Meroe (Boston) 1957.

14- Dunham, D., The Royal Cemeteries of kush, vol.v West and South cei-

neteries at Meroe (Boston) 1963.
15- Faulkner, R.O, The Ancient Egyptian Pyramid Texts (Oxford CLarendon Press) 1969.
16- Frazer, J. The Golden Bough. Astudy in Magic and Religion (abridged edn., London Macmillan) 1963.
17- Garstang, J.,: Sayce, A, Griffith , F.L, Meroe, The City of the Ethiopians (Oxford) 1911.
18- Griffith, F.l, Karanog. The Meroitic Inscriptions of shablul and karanog Vol. 6 (Philadelphia) 1911 (a).
19- Griffith , F.L, Meroitic Inscriplions, part I (MI.I) London, 1911 (b).
Arittith F.L ‘Merowe stadies 17' JEA,4,1917.
20- Griffith, F.L, The Meroitic Inscriptions, part II (MI.II) London,1912.
21- Hakem, A.M.A, Meroitic Archiftecture: ABack ground to an Africa can Civilization (khartoum) 1988.
22- Hakem, A.M.A, “The city of Meroe and Myth of Napta” ADAB 2,3(Khartoum Univ.press), 1975, pp.120-31.
23- Haycock, B.G., “Towards abetter understanding of the Kingdom of Cush (Napata- Meroe) SNR 49 1968, PP.1-16.
24- Haycock, B.G., “Landmarks in Cushite History,” JEA 58, 1972, PP.225-44.
25- Herodotus, The Histories (trans.A.D.Godley) (Heinemann) 1920-1921.
26- Hintze.Fr., “Pre Liminary report on the Butana expedition 1958, “Kush, 1959, pp.171-96.
27- Hintze, Fr., “Die meroitische stele des konigs Tanyidamani aus Napata” kush8, 1960,p.p.125-62.
28- Hintze.Fr., “Muswarat es Sufra: preliminary report of the excauations of

the Institute of Egyptology. Humboldt University, Berlin 1960-1" kush10, 1962, pp. 172-202.

29- Hintze, Fr., “ Muswarat es Sufra..... (Third season) 1961- 62" kush11, 1963,pp. 217-26.

30- Hintze, Fr., “Muswarat es Sufra Band 1,2 Der Lowentempel” (Berlin) 1971.

31- Hintze Fr. “Meroitic chronology: Problems and Prospects, “Meroitica1, 1973,pp. 127-44.

32- Hintze, Fr. “The Graffiti from the great enclosure at Musawarat es Sufra, Meroitica 5, 1978,pp. 135-50.

33- Kendall, T., “The Napatan Palace at Gebel Barkal: A first look at B. 1200, “ Egypt and A frica in Davies, W.V (ed) 1991, pp. 302-13.

34- Leclant, J., “Meroe et Rome” Meroitica 10 1989, pp.29- 46.

35- Macadam, M.F.L, The Temples of Kawa 1-2 vols.vol.I The Inscriptions and Vol .I the plates (London) 1949.

36- Macadam, M.F.L, The Temples of Kawa 11. 2 vols. Vol.II the Text and vol.11 the plates (London) 1955.

37- Macadam,M.F.L, “?ueen Nawidemad” Allen Memorial art Museum Bulletin, vol.23, 1966.PP.42-71.

38- Otto, E, The Egyption Art and the Cults of Osiris and Amon (Thames and Hudson- London) 1968.

39- Pliny, Natural History (trans. H Hackham) London, 1938.

40- Reisner, G.A, “The Barkal Temples in 1916" JEA, 4 , 1917, PP. 213- 27.

41- Reisner, G.A, “The Barkal Temples in 1916" JEA 5, 1918,PP.99-112.

42- Reisner, G.A, “ Discovery of the Tombs of the Egyptian xxv th Dynasty at EL kurru in Dongola Province” SNR 2, 1919, PP.237-64.

43- Reisner, G.A, “Historical Inscriptions from Gebel Barkal” SNR 4 , PP. 59-74.

44- Robinson, A.E, “The Camel in Antiguity,” SNR 19, 1936,PP.47-69.

45- Rowley- Conwy, P., “The Camel in the Nile Valley: new Radiocarbon Accelerator (AMS) dates from Qasr Ibrim,” JEA, 74; 1988,PP. 245-8.

46- Selegman, Pagan Tribes in the Nilotic Sudan (London) 1965.

47- Shinnie, P.L., Meroe: Acivilzation of the Sudan. (London) 1967.

48- Shinnie,P.L. , “Excavations at Meroe”, MNL 5, 1970,PP. 17-19.

49- Strabo, The Geography (trans.H.L. Jones) London 1917-23.

50- Torok,L,. “kush and the External world, “Meroitica 10 1989, pp. 49-215.

51- Thurman, C.C.M, and B. williams, Ancient Textiles from Nubia (chicago), 1979.

52- Vercoutter, J., Un Palais des “Candaces” contemporain d’ Auguste, “Syria 39 1962, pp. 263-99.

53- Welsby, D.A, The kingdom of Kush , the Napata and Meroitic Empires (The British Museurn press- London) 2002.

54- Wenig,s, “Arsnsnuphis and Sebiumker”, ZAS 101, 1974, PP.130-50.

55- Zabkar,L-V, Apedemak, Lion God of Meroe (Warminster), 1975.

56- Zaki, O.H, “Seniority and Significance of Some late Meroitic titles” (Unpub. M.A thesis) University of Khartoumm 1975.



المؤلف



– بروفيسور عمر حاج الزاكي

– مواليد رفاعة ١٩٤٠

– التعليم العام – الدلنج الريفية وحنتوب الثانوية

– البكلاريوس – جامعة بيروت الأمريكية

– دكتوراة في الآثار «تاريخ السودان القديم» جامعة الخرطوم

– عمل استاذاً في مراحل التعليم العام والجامعي.

– عميد «سابق» كلية الآداب جامعة أم درمان الاسلامية

– عميد «سابق» كلية التربية جامعة أم درمان الاسلامية

– عميد الكلية الأردنية السودانية

– شارك في اعداد مقررات مراحل التعليم المختلفة

– عضو مجلس إدارة جامعة أم درمان الاسلامية ومجلس إدارة الآثار والمتاحف

– من مؤلفاته كتاب «آمون في مملكة مروي» كما نشر العديد من الأوراق العلمية المختلفة في مجال التاريخ والثقافة.

رقم الايداع : ٩٧٠ /٢٠٠٥

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو
اختزان مادته بطريقة الاسترجاع، او
نقله على أية حال، أو بأية طريقة أخرى
سواء كانت إلكترونية، أو بالتصوير
وبالتسجيل، أو بخلاف ذلك إلا بموافقة
الناشر على هذا كتابة ومقدماً.

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة
لوحدة تنفيذ السدود